١٢٥

روايات احلام

الضوء الهارب

طوق الياسمين
www.mlazna.com

منتديات ملاذنا www.mlazna.com

روايات احلام

الضوء الهارب

- أنت تشبهين شخصاً خرج من الحياة... وهذا هو التحدي يجب الرجال أن يعتقدوا أنهم قادرون على إزالة الجليد عن أكثر النساء تصميماً...

- يا لها من عجرفة من قبل الرجال!

لم تكن كيم تريد هذا التحدي الذي لا تستطيع مقاومته، لم تكن تريد التعرف إلى لوران تريفيل، ولم تشأ أن تصبح ضيفة على قصره بالقوة... كل ما كانت تحلم به هو العودة إلى أفينيون لتعيد إحياء الذكريات السعيدة التي عاشتها يوماً... لكن لوران تريفيل وقف حاجزاً بينها وبين الماضي فلم تعد تستطيع التقدم، ولم يترك لها مجالاً للهرب... حتى عرفت أنها ليست المرأة الوحيدة في حياته!...

www.mazna.com

لبنان ٢٠٠٠ ل. ل	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل. س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

روايات احلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة
والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان.
العنوان: بيروت ـ طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث.

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس والتأليف محفوظة للشركة.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر
ـ حارة حريك ـ تلفاكس ٥٥٧٢٢٦/٠١ ـ خليوي ٢٨٧١٥٨/٠٣.

١ ـ رحلة الأحزان

علق غيليان ماكلوسكي وهو فتى في الثانية عشرة من عمره بصوت حزين قائلاً لخالته: كيم.. يكاد ينطفىء هذا المصباح.

دفعت كيم روبرتس خصلة من شعرها الأشقر عن جبينها وضغطت على مقود سيارتها، وفتحت عينيها تلقي نظرة من الزجاج الأمامي إلى الظلمة الموحشة التي تعبث بها الريح..

قالت بهدوء:

ـ سنتوقف.. سنحيد عن الطريق.. أضيء النور الداخلي وحاول أن تكتشف إلى أين أوصلتنا هذه المرة..

خانها بعض من هدوئها، فأضافت بنفاد صبر:

ـ أنت وطرقاتك.

قال غيل محتجاً:

ـ كان يجب أن يكون معنا مصباح أكبر من هذا.

أمسكت كيم بتلابيب غضبها:

ـ أوه.. كان لدينا مصباح كبير.. حتى تركته في «بونت اوديمير».. أوه.. أكاد أصيح عالياً!

عندما قفزت الميني فوق حفرة في الطريق اهتز كل برغي فيها.

قالت بحدة:

ـ ظننتك قلت إن هذا طريق فرعي؟ إنه طريق يخص عربات خيل! هل أنت واثق من أننا لم نتُه؟ أشعر بأننا ضعنا مجدداً.. وحدسي ينبئني

www.mlazna.com

بأنني لن أرى آڤينيون أبداً.

آڤينيون.. آه.. كان ذكر الاسم كالطلسم السحري إذ تراءت لها للحظات السماء الزرقاء العميقة والشمس الساطعة تشع على كتفي إدي البرونزيتين وتلمع على شعره الأشقر الذي أصبح مضيئاً كما تراءت لها الخيمة البرتقالية والزرقاء القابعة فوق العشب البني الجاف.. قفزت الميني فوق حفرة أخرى فعادت إلى واقعها، إلى ليلة رطبة في وادي «لوار» فيها ريح هوجاء وينهمر مطر غزير على الزجاج، إلى ليلة تزداد فيها ثقتها بأنها أكبر حمقاء لأنها قبلت المجيء مع ابن أختها ليقيم مع صديقه الفرنسي الذي يراسله.

أخذ غيل يقفز انفعالاً:

ـ ياه! لقد وصلنا! انظري كيم هناك إلى اليمين. ألا ترين شيئاً؟

ـ أرى ماذا؟ لا أكاد أرى الطريق.. توقف عن القفز كالحيوان البري وقل لي ماذا يفترض بي أن أرى.

صاح غيل: البوابات..! قال جان كلود إن هناك هذه البوابات الضخمة.. ولا شك أنها ضخمة كما قال فأنا قادر على رؤية أعمدتها المنقوش على قمتها بعض النقوش، فيا ترى ما هي؟

قالت كيم ساخرة: تمثالان لنابليون... إنه الديكور المفضل في فرنسا.

ـ انعطفي إلى اليمين.. هنا.. إلى اليمين.. أوه.. كيم ستتجاوزين البوابات! أوه.. لا.. لم تتجاوزيها.. كيم.. أتظنين أنني أرى قصراً حقيقياً في هذا المكان؟ رائع.. ستقيمين فيه يومين معي. أليس كذلك؟ قالت أمي إنك ستبقين معي حتى أعتاد على الحياة هنا.

تقيم معه!.. أحست كيم بارتفاع ضغط دمها.. لقد أحست لتوها أنها ابتعدت ما يقرب من مئة وخمسين ميلاً عن رحلتها.. كان يجب أن تكون الآن في «آڤينيون»، لا في هذا القفر تبحث فيه عن منزل فوق

طريق عربات خيل لا يُعرف إلى أين ينتهي لكن الطريق الداخلية كانت أكثر قبولاً من الطريق التي سلكتها سابقاً.. ضغطت عن عدم انتباه على دواسة السرعة.. إنها تظن أن بإمكانها قضاء يوم مع غيل لتأخذ فكرة عن جو العائلة الفرنسية، وتتأكد أنه سيكون سعيداً معهم.. وستطلب منها جيني تقريراً كاملاً.. قالت في سرها: لا بأس بيوم أو يومين لا أكثر.

صرخ غيل في أذنها:

ـ كيم! انتبهي! توقفي! ستصطدمين بها.

وصدمتها.. فما حسبته مجرد ظل آخر من الظلال الكثيرة كان في الواقع شجرة مرمية على الطريق الداخلي.. انتقلت قدمها بقوة إلى المكابح فانزلقت الميني.. وأحست كيم بالصدمة لأن مقدمة السيارة ارتطمت بجذع شجرة، وكأن الأمر يحدث بالحركة البطيئة.. اندفع المقود على وجهها.. وفكرت مبهوتة.. انها سيارة إدى، وأطفأت محرك السيارة. سيارة إدي غير جديدة لكنها كانت عزيزة عليه.. اصطدم المقود بصدغها فتأوهت من الوجع والصدمة.. ثم هدأ كل شيء إلا وقع المطر على سطح السيارة، حتى الريح صمتت ولم تعد تسمع صراخ غيل.

رفعت كيم ببطء رأسها الملقى على المقود فأحست وكأن عظام عنقها وكتفيها محطمة.. تأوهت:

ـ غيل.. هل أنت بخير؟

سمعت حركة خفيفة:

ـ نعم أنا بخير.. لا عظام مكسورة ولا دماء.. كيف حالك؟

قالت بحبور وكأنها تمزح:

ـ حية.. هل نحن قرب المنزل؟ أترى الأنوار؟

فتح غيل قفل حزام الأمان:

ـ ليس بعيداً أبداً على ما أظن.. هذا رائع! أعني «العبارة» والفندق

ثم الضياع خارج انجر.. والآن هذا! سيكون لدي حديث مشوق أرويه لزملائي في المدرسة! أراهن أن لا أحد منهم عاش مثل هذا الحدث الممتع.. هل ستأتين كيم؟ سنضطر للسير على أقدامنا ما تبقى من الطريق فالبيت لا يمكن أن يكون بعيداً.

صاحت كيم ساخطة وهي تزحف فوق الشجرة المرمية:

- لم تقل لي شيئاً عن تسلق شجرة ضخمة لعينة.. إنها مكسوة بشيء لزج وهذا يعني أنني سأتسخ.. تباً لك!

انزلقت مجدداً.. وتابعت بعصبية:

- لن أخطو خطوة أخرى.. لقد تبللت.. اذهب إلى المنزل وأحضر لي نقالة.. أشعر أنني بحال سيئة..

رد غيل بفزع:

- هل آذيت نفسك؟ حسناً.. انتظريني، لن أتأخر.

تلاشى في الظلام الذي أطبق حوله تاركاً كيم بمفردها.. أخفت رأسها بين يديها القذرتين متأوهة. أحست بالوهن وبدأت أسنانها تصطك وأوصالها ترتجف ولم يكن المطر يساعدها.. كانت مبلّلة حتى العظام بسروالها الجينز والتي شيرت الملتصقين بجسمها ولم يكن في تفكيرها غير جيني شقيقتها الحبيبة التي ابتدعت هذا كله. آه! فلولا جيني.. أغمضت كيم عينيها وعادت بذاكرتها إلى مطبخ المنزل الذي ولدت فيه.. كانت جيني تصنع قالب حلوى والمطبخ حاراً وجيني متوردة دافئة.

رمت رقاقة العجين من يدها وأمسكت القطاعة.

- تستطيعين هذا إن أردت.. مشكلتك أنك أصبحت أنانية منذ مقتل إدي.. لا تفكرين إلا في نفسك! أعرف أنك تلقيت ضربة قاسية إنما هذا لا يبرر إهمالك لنفسك، فأنت لا تأتين لزيارتنا إلا إذا أرسلنا بطلبك.. قد يظن المرء أن بين شقتك في بادينغتون وريتشموند مسافة ألف ميل!

حاولت كيم إبعاد كل شيء عن تفكيرها، والتركيز على حالتها الراهنة.. لكن الصور تلاحقت وكأنها شريط سينمائي، رأت صواني قطع الحلوى على الطاولة وسمعت نفسها تتكلم:

- سأقله إلى باريس.. ثم أضعه في القطار المناسب ليصل إلى «غيردو اوسترليتز» وسأتصل ليوافيه أحد في المحطة.

راحت جيني تقطع دوائر الحلوى من جديد بسرعة ولدتها الخبرة.

- هذا لا يكفي! أقليه بنفسك رجاء فأنا لا أطلب منك معروفاً عادة. أنت شقيقتي وغيل هو ابن أختك!

لا تتوسل جيني أبداً، بل هي تعصف وتزداد نزقاً مع كل لحظة إحباط.

- أعرف أن المكان بعيد قليلاً عن طريقك..

- قليلاً! ثلاثمائة ميل قليل؟ تطلبين مني أخذه ثم العودة به في رحلتين متتاليتين.

توقف فيلم السينما عن الدوران عندما سمعت صوت غيل المنفعل يصرخ بالفرنسية المكسرة:

- نوتر أوتو.. سيارتنا اصطدمت وتهشمت، ما تانت، خالتي، صدمت «سون تيت» رأسها فوق المقود!

ابتسمت كيم غصباً عنها فغيل لا يتكلم الفرنسية بطلاقة وكل ما ترجوه الآن أن يكون من يسمعه قادراً على فهم الإنكليزية.. فرنسيتها جيدة ولكنها متعبة حالياً وتحس بالألم ولا تستطيع التحرك.. سمعت وقع أقدام ثابتة تقفز من فوق الشجرة، ولمع ضوء قوي في وجهها فأغمضت عينيها أمام نوره المشع.

- هل أنت مصابة سيدتي؟

ردت بلباقة:

- أجل! ولكن سيغمى عليّ أو سأتقيأ.

عندما كانت تهمّ بالتحرك قالت بصوت مرتفع:

- لا أستطيع اجتياز الشجرة.. أتعجب لماذا وضعتم الشجرة هذه هنا.. إنها خطرة.. لا أظن أنني قد أصل أبداً إلى آڤينيون.. هذا قدري!

ظنت أنها لا تبكي ولكن عندما شعرت بتدفق المطر على وجهها لم تعد واثقة.. بعد حين أمسكت يد قوية ذقنها وأدارت لها وجهها نحو المصباح.

- يا إلهي! أنا متعبة!

كان الصوت الذي قطع حبل أفكارها هادئاً وعميقاً، يتكلم الإنكليزية بطلاقة حتى لا يكاد يظن المرء أنه فرنسي.

- بالطبع مدام.. لقد سافرت مسافة طويلة..

حاولت أن تقف على قدميها ولكنه منعها:

- لا.. مدام.. سأحملك.. المكان غير بعيد. اهدئي صغيرتي فسرعان ما ستصبحين جافة دافئة واحمدي الله لأن الطبيب يتناول العشاء عندي الليلة.

كررت بصوت متجهم: «لا أستطيع تجاوز الشجرة».

أصبح الصوت أجشّ:

- لا داعي. أمسك المصباح غيل وسر إلى جانبي، لا.. لا تهتم بأمر الحقائب.. لاحقاً سأرسل من يجلبها.

ما أروع أن تكون ذراع قوية حولها.. لقد مضى زمن طويل لم تشعر فيه بنعمة أن تكون بين ذراعي إدي.. آه زمن طويل.. ثلاث سنوات باردة. راحت دموعها تتساقط وتتسرب ملوحتها إلى فمها، فاضطرت إلى إدارة وجهها نحو السترة.. ما إن أصبحت في المنزل حتى وضعت على أريكة فأحست ببرودة «الساتان» تحت رأسها.. الدوار والوهن تلاشيا الآن، وبدأت تستعيد تدريجياً عافيتها.. فتحت عينيها فرأت غرفة ضخمة لا يضيئها سوى بضعة مصابيح ووهج نار من مدفئة عريضة عميقة. راح الصوت الأجش يتكلم الفرنسية بدل

الإنكليزية.

- مارسيل، نادي أباك من المطبخ فهو هناك مع ڤيڤيان.. قولي له وقعت حادثة! آه، جان كلود، صديقك وصل. أطلب من موريس أن يجلب الحقائب من الخارج قرب السيارة.

نظرت كيم إلى الجدران العاجية الموشاة بالذهب وإلى اللوحات القديمة، والأثاث الأنيق الذي يوحي بطابع البرجوازية.. وسجل عقلها: لويس الخامس عشر.. ذهب، قوائم مجدولة وتنجيد «ساتان».

بعد قليل.. عادت الفتاة مارسيل وهي فتاة لا تتجاوز السابعة عشرة من العمر ولكنها تحاول أن تظهر أكبر من عمرها بعشر سنوات.. صهباء ترتدي ثوب سهرة أخضر مكشوف الكتفين. يا للمسكينة.. تساءلت كيم عمن تحاول أن تجذب.. رأت غيل بدا وجهه شاحباً من الصدمة والإرهاق وشعره الأحمر أشعث، وكان هناك وجهان آخران يحدقان إليها.. شهقت.

كان يقف قرب الشيطان الملائكي الصغير الأسود الشعر والعينين رجل له الوجه ذاته إنما أكبر سناً.. ذات الشعر والعينين، حتى الوجه نفسه، لكن مختلف.. الوجه الأكبر جعدته خيبات أمل عميقة.. تحت الحاجبين الأسودين المقوسين، تطل عينان سوداوان فيهما ما يدل على أن صاحبهما خبر الحياة كثيراً. أما الأصغر الملاك الأسود فقد ضحك لها ضحكة رائعة بينما الأكبر يتكلم.

قال الرجل: «لوران تريڤيل في خدمتك مدام.. أهلاً بك في «ديودوني».. هذا جان كلود».

ثم ما لبث أن عاد لفرنسيته ببراعة خطفت أنفاس كيم.

- جان، قل لڤيڤيان أن تحضر فراشاً دافئاً للمدام واطلب من الطبيب أن يسرع. يمكنه العودة إلى ڤيڤيان بعد معاينة السيدة.

رفع الولد حزام بيجامته الفرنسية الأنيقة قليلاً وابتعد عن نظرها،

www.alazra.com

ووجدت كيم أخيراً لسانها يقول بالإنكليزية:

- تسرني مقابلتك. أنا السيدة روبرتس، خالة غيل.. والدته أي أختي لم تستطع المجيء، فرافقته بنفسي. وأنا سأعود حالاً إلى «آڤينيون».

ولكن عندما فكرت في سيارتها الصغيرة التي تحتضن الآن شجرة تضعضعت ثقتها بنفسها فأضافت:

- أتعرف ما إذا أصيبت سيارتي بأضرار فادحة أم بسيطة سيدي؟ فمن الضروري أن أتابع طريقي بأسرع وقت ممكن إلى آڤيغون.

همهم غيل من الخلف بصوت ملؤه العذاب:

- كيم.. لقد وعدتني..! قلت إنك باقية معي قليلاً.. فقد وعدت أمي!

ابتسمت غصباً عنها:

- لا داعي لبقائي غيل.. فهنا الجميع يتكلمون الإنكليزية، وستكون على ما يرام.

لم تكن تقصد بكلامها المواساة، لكن لوران تريڤيل أفسدها.

- أنا أتحدث الإنكليزية مدام.. أما جان كلود فلا ينطقها وهذه حال الجميع. ولكن لن نتكلم عن الغد فغداً لكل حادث حديث.. أنت بحاجة إلى الراحة.. وفي ضوء النهار نستطيع معرفة الأضرار التي أصيبت بها سيارتك.. هل ستقابلين أحداً في «آڤينيون»؟

هزت رأسها فانطلقت شرارة ألم في صدغها.

- لا مسيو.. لن ألاقي أحداً.

وزمت شفتيها بحزم. كان يمكنها أن تقول أكثر من هذا بكثير ولكن الكلمات آلمت صدرها. لن تجد من تلاقيه حتى الشبح، هناك الذكريات والوحدة فقط، وربما تجذبها الذكريات إلى إدي فتتمكن من رؤية وجهه في خيالها. ما كان يجب لذكراه أن تبهت، أن تصبح ضبابية بسرعة. لقد حاولت إبقاءها برّاقة واضحة، ولكن صورته خلال هذه

السنوات الثلاثة المنصرمة بدأت تبهت حتى لم يعد منها غير ملامح موجزة ضبابية.. طيف يسير مبتعداً عنها.

أبعد لوران الشعر عن جبينها ليلقي نظرة على الكدمة المتورمة:

- إذن.. أرى أن عليك البقاء عندنا بضعة أيام.

أنزل إصبعه على خدها ليتحسس مكان الألم:

- لا تبدو الكدمة خطيرة.

خطفت ابتسامته أنفاسها.

- لا أظن عينك ستسود.

ارتد إلى الفتاة الشابة الواقفة أمامه، وكأنها مربوطة بوثاق مشدود.

- هذه مدموزيل مارسيل دي موروه، ابنة طبيبنا.. لقد وصل طبيبنا.. بيار، يا صديقي، لدينا مريضة هنا.

استسلمت كيم للفحص وهي متأوهة، ورفت عينها حين عاينها الطبيب عن قرب وتضايقت من المصباح المسلط عليها، واحتجت:

- صدقاً، لا شيء يدعو للقلق. يبدو أنها رضة بسيطة.. وأنا متعبة أكثر مني متألمة.

لمع المشعل مجدداً في عينيها فأجفلت معترضة:

- لماذا يفعل هذا؟

قال لوران مهدئاً:

- ليرى ما إذا كان لديك ارتجاج.

وأمسك يدها التي كانت تحاول دفع الطبيب عنها، وأكمل بحزم:

- قد تكون إصابات الرأس خطيرة، وأذكر أنك قلت بأنك تحسين بالوهن.

أردفت بجفاء:

- ليس لدي ارتجاج.. قلت لك إنها مجرد صدمة بسيطة، ولكنني متعبة وهذا الضوء يؤذي عيني، ولم أعد أشعر بالوهن بل بالتعب وبالانسلخ.

نظرت إلى جينزها وقميص التي شيرت المغطيين بالوحل.

- كل ما أحتاجه هو فنجان شاي وحبتان من الأسبرين ومكان أنا فيه، وفي الصباح سأكون على خير ما يرام.

ابتسم لها: «سنرى».

- أتمنى ذلك.

وابتعد عنها ليشاور الطبيب، فلحقت به مارسيل كظله وكأنها لا تثق به إن ابتعد عنها خطوة.

يا للطفلة المسكينة! أحست كيم بالشفقة على الفتاة، إنها صغيرة وحركاتها توحي بهيام فاضح ولكنها على ما يبدو تضيع وقتها فمضيفهم يعاملها وكأنها ليست أكبر من ابنه.. حب الصبا رائع وقد تذكرت كيم حبها الأول.. كان هو أيضاً مؤلماً.. ولكنها تجاوزت تلك المرحلة بسرعة، فقد تحول حبها لإدي من حب شباب إلى حب حقيقي ناضج.. وإلى عاطفة هادئة عميقة لم تكن الكلمات فيها ضرورية إذ كل ما كانا يحتاجانه نظرة أو لمسة للتفاهم.

لم تحصل كيم على الأسبرين، بل حصلت على كوب مليء بمادة تشبه الحليب طعمها مر، لكنها أجبرت نفسها على شربها.. ثم عالج جبينها بالمرهم، وحمل إليها غيل وجان كلود شاي.. كل ما تحتاج إليه الآن هو حمام سريع.. لا شك أن منظرها كريه. كبحت تثاؤبة عندما همت بترك الأريكة، وكان لوران إلى جانبها..

قال: مارسيل أحتاجك لتكوني ممرضة حالياً.. والآن سيكون لديك أول تجربة. رافقي السيدة إلى فوق وأريها غرفتها.. إنها الغرفة المجاورة لغرفة مدام تريفيل.. ثم ساعديها في الحمام.

صمت قليلاً ثم أضاف بالإنكليزية:

- وبإمكانك التدرب على الإنكليزية في الوقت ذاته.

ابتسمت مارسيل له، تحاول جاهدة أن تتكلم إنكليزية تعلمتها في المدرسة.

- لن أكون ممرضة.. إنه عمل مضنٍ. أظن أنني سأتزوج مزارعاً، لماذا لا تهتم ڤيڤيان بها؟

- لأن ڤيڤيان سيدة عجوز بدينة ولا تستطيع صعود الدرج، وهي أنهت عملها لليوم.. وتستمتع بإجازتها.. أما الزواج من مزارع فهذا عمل مضن لك أيضاً لأنه يعني أن تتركي المنطقة فكل المزارعين الشبان هنا متزوجون إلا واحداً، وهو أكبر بكثير من فتاة صغيرة مثلك.

تنهدت كيم متعبة ورفعت خصلة من شعرها الأشقر عن عينيها الزرقاوين المنتفختين.. إنها لا تريد أية مساعدة خاصة تقدم لها على مضض.. بإمكانها تدبير أمر نفسها.. ردت لتلطف الجو:

- دلني فقط على الاتجاه وسأسير بمفردي.

نظر لوران بوجه عابس من مارسيل إلى كيم:

- كلام سخيف.. إن لم ترغب مارسيل في مساعدتك فسأتولى الأمر بنفسي.

ووضع ذراعاً ثابتة على كتفيها، وأخرى تحت ركبتيها، ورفعها في الهواء ليحملها إلى الخارج.. اعتقدت كيم أنه استغلها ليظهر للفتاة عدم اكتراثه. ولم تستلطف هذا.. بالنسبة إليها هذا عمل قاسٍ، لكن ليس بيدها حيلة.

اختلست النظر إلى وجهه وهما يصعدان السلم.. فوجدته فاتناً.. وتساءلت أي جحيم عاشه حتى تغير إلى ما هو عليه.. فبالرغم من المرارة في التواء فمه والنظرة الكئيبة المنبعثة من عينيه الحادتين، كان أوسم رجل رأته.. وسيم.. و.. فتشت عن الكلمة المناسبة.. لعين! وهذا ظاهر في عينيه الرماديتين القاتمتين.. وفي استدارة ذقنه التي تنطق في أعماقها تصميم شرس.

عندما ضبطها تختلس النظر إليه أغمضت عينيها بسرعة:

- هل تراقبينني عن كثب؟ وما هو حكمك؟ هل أنا على قدر المسؤولية بحيث أصبح أهلاً لتولي رعاية ابن أختك؟ وهذا ما يذكرني

بأختك التي سأتصل بها لأعلمها بأنكما وصلتما ولكن قبل ذلك علـ
الاهتمام براحتك.

كانت ردة فعلها فورية وآلية. شدت على كمه حتى ابيضت عقلار
أصابعها واغرورقت عيناها بالرعب.

- أرجوك.. لا تقل لها شيئاً عن الحادثة!؟ أختي وحدها وزوجـ
مسافر للتنقيب عن البترول في بحر الشمال، وهي ليست بعافية لذا لـ
ترافق غيل بنفسها.. ستدخل إلى المستشفى لإجراء عملية جراحـ
بسيطة.. ولكن إن عرفت بالحادثة ستقلق كثيراً ولن تتوانى عن السفـ
إلى هنا.

ابتسم لوران: «سأقول لها إن غيل غير مصاب».

كادت تبكي بسبب جهله: «لن يغيّر شيئاً مما ستقوله في ما ستقـ
عليه فغيل هو طفل جيني المدلل.. رجاء لا داعي لذكر الحادثة، قلـ
لها فقط إننا وصلنا بأمان..»

أصبحت ابتسامة لوران شيطانية، وتمتم:

- ربما بإمكانك إقناعي.. يبدو لي الأمر صفقة. أنت تريدين شيئاً
مني وأنا سأطلب منك شيئاً في المقابل. تُرى ما هو؟ أجل.. وجدته.

هز رأسه بجد ثم بدت السعادة عليه وهو يرى تعابير وجهها
الغاضب:

- لقد وعدت شقيقتك وابنها بالبقاء هنا مدة يومين.. وهذا
بالتأكيد وقف على المدة التي تلزم لتصليح سيارتك.. لكنني أرغب في
بقائك مدة أطول.. فلنقل أسبوعين.

ردت بحزم:

- أوه.. لا! قلت لك، يجب أن أصل «آڤينيون».

تنهد باستياء:

- آڤينيون.. تبدين وكأنك اسطوانة مشروخة إبرتها عالقة. هذه
الكلمة هي الكلمة الأولى التي سمعتها منك تقريباً.. ومنذ ذلك الوقت

وأنت تكررينها.. «آڤينيون» موجودة منذ ألف سنة ولن تختفي في بحر
أسبوعين. هل اتفقنا.. كيم؟ هذا ما يناديك به غيل. وهو يناسبك أكثر
من مدام روبرتس.. لذا سأستخدمه ويمكنك مناداتي لوران.

برقت عينا كيم التي كانت تقاوم من أجل شيء ليست واثقة إن كان
يستحق المقاومة.. ولكنها المرة الأولى منذ ثلاث سنوات التي لا تميل
إلى إغماض عينيها وترك العالم يسير كما يشاء..

قالت موبخة:

- لا أظنني معجبة بك كثيراً سيدي.

رد ببراءة:

- لوران.. لقد اتفقنا على هذا.. وأعدك بشيء.. في نهاية
الأسبوعين ستصبحين معجبة بي، فأنا شخص محبوب جداً.

وصل أمام الغرفة المطلوبة فدفع الباب بقدمه ودخل ثم أوقفها على
قدميها.

- والآن.. هل اتفقنا كيم؟

هزت رأسها ولكن كانت كل فقرة في عنقها تصيح من الألم..
وافتنعت بمنطقه تقريباً.. قالت بوقار:

- أرغب في رؤية السيدة تريڤيل فقد ترفض أن يُفرض عليها ضيفة
أخرى.

رد لوران بوقار أيضاً:

- هذا مستحيل فالسيدة تريڤيل تعيش في باريس ونحن لا نتشاور
بأمور الضيافة والاستقبال.

زواج محطم.. نظرت كيم إلى الأثر القذر الذي كان يتركه
حذاؤها على السجادة الوردية الزرقاء، وأجبرت نفسها على التفكير
بشكل جاد. لقد التقطت جيني ضيق أفق تفكير زوجها، الذي كان زبدة
الإخلاص الاسكتلندي.. منزل الطفل يجب أن يضم بين جنباته
الأبوين معاً وإن لم يكن كذلك فهو ليس المنزل الملائم لطفل.. لذا

ترفض أن يعيش غيل في ما يمكن أن تدعوه «مؤسسة غير مستقرة». . وقد تكون هي، كيم، في مأزق أكبر من الاصطدام بشجرة إن تركت غيل هنا. فالحادثة سرعان ما تنتسى أما هذا. . فكلما أوقع غيل نفسه في مشكلة ستلام كيم لأنها تركته في منزل تعلم منه أفكاراً خاطئة. ولو أن لوران أرمل لما أساءت أختها الظن. . ولكن الانفصال والطلاق يدفعان جيني إلى غضب ثائر، خاصة إذا كان هناك أطفال. . وقررت. . قالت:

ـ لا بأس. . سأبقى قليلاً.

ابتسم مرة أخرى ابتسامة جذابة:

ـ جيد! . . أنا وجان كلود سنضع الخطط لنرفه عنكما. . وبمناسبة الكلام عن المخابرات الهاتفية. . أترغبين في الاتصال بزوجك؟ . . إذا أعطيتني الرقم. .

رقم للاتصال بإدي؟ ليت لديها هذا الرقم! وطغت عليها الوحدة الباردة فطردت ما تبقى من لون عن وجنتيها، وعلا ثغرها الجميل الحزن.

قالت: «لن يكون هذا ضرورياً».

ـ بالتأكيد تريدين أن يعرف. .

ارتدت عنه تخفي دمعها:

ـ قلت لا حاجة إلى ذلك. . أين هو الحمام، أرجوك.

أشار إلى باب في الجدار المقابل للسرير:

ـ هناك. . سأمهلك ربع ساعة عليك بعدها أن تكوني في الفراش.

أشار إلى حيث حقيبتها:

ـ لقد طلبت إحضارها. في الحمام كل احتياجاتك. . لا تتأخري في الحمام أكثر من ربع ساعة فمفعول دواء طبيبنا قوي ولا أريد أن تنامي في الحمام.

بعد خروجه فتشت كيم عن قميص النوم في حقيبتها ودخلت إلى

الحمام حاملة حقيبة زينتها. نظرت إلى الأرض الفاخرة وإلى المرايا الملصقة بالجدران، وإلى الحنفيات الذهبية اللون. لم يكن غيل مخطئاً عندما سأل عما إذا كان هذا المنزل قصراً. حسبما رأت لا نظنه قصراً لأنه أصغر من أن يكون قصراً ولكنه يجمع بين الذوق والترف. . فيه نماذج تبدو لمعروضات المتحف أو كأنه مقر مخصص لشخص اعتاد على الترف. . ربما لمدام تريفيل. سرعان ما ولّت كل الأفكار من رأسها حين لمحت منظرها في إحدى المرايا. إنها متسخة من رأسها حتى أخمص قدميها، شعرها متدل حول وجهها وكأنها ساحرة ماكرة. . وجهها معدوم منه اللون أما عيناها فتبدوان كحفرتين محترقتين، هذا عدا الكدمة الحمراء على خدها. يا لمنظرها! إنه غير جذاب أبداً.

جلست في المياه الساخنة. . ربما من الأفضل أن تبقى هنا حتى تستطيع إظهار مظهرها العادي للعالم. . وهناك مسألة سيارتها، وكم سيتأخر إصلاحها. . أحست بالحر إنما لا شأن لهذا بحرارة المياه. . ماذا لو تعذر إصلاح سيارتها؟ ربما أصبحت الآن بقايا حطام وهذا يعني أنها ستغدو محجوزة هنا طوال العطلة. ولكنها ويا للغرابة لم تجد الفكرة مخيفة. . فجأة شعرت بخدر يتسلل إلى أوصالها، فاسترخت كل عضلة متوترة في جسمها. . إنه مفعول دواء ذلك الطبيب. . وعليها ألا تخاطر. . لقد قام لوران تريفيل بما فيه الكفاية لتذهب للفراش فوراً، وآخر ما تتمناه أن يحملها من الحمام عارية.

لم تقم يداها بدورهما كما يجب. . فالمنشفة كبيرة جداً وطرية وقد راحت تنزلق بهدوء من أصابعها. . وبسبب ذلك دست جسمها المبلل في ثوب النوم، وسارت بجهد جهيد إلى السرير.

زارها غيل وجان كلود بعدما دفنت نفسها تحت الأغطية. بدا جان كلود أنيقاً في بيجامته الكحلية.

قال غيل:

www.mazna.com

- يقول لوران إن كل شيء على ما يرام.. قال إنه أقنعك بتمديد إقامتك، ولقد اتصل بأمي.. إنه رائع كيم.. لم يتفوه كلمة عن الحادثة، وقال إننا الآن غارقان في نوم عميق، فأنت تعرفين أمي.. إنها تكثر من طرح الأسئلة وقبل أن أدري أجد نفسي قد بحت بكل شيء.

وقف جان كلود في الخلف خجلاً ولكن غيل هز رأسه بشدة وقال له بهمس مرتفع:

- قل لها ما قلته لك.

تقدم جان كلود متردداً، فوضع يده على خدها قبل أن ينظر إلى قطعة ورق راح يقرأها:

- أنا سعيد لأنك باقية مدام كيم.. وسأحاول أن أجعل إقامتك ممتعة.

توقعت كيم المزيد.. لكن لا شيء.. الواضح أن جان كلود تدرب على هذه الخطبة «العصماء»، ولن تتلقى غيرها حتى يتدرب على المزيد.

خرج الولدان، وكان زائرها التالي لوران الذي كان يحمل بيده قصعة كبيرة من الشوكولا الساخن. ولم يكن يبدو هانىء البال، بل نادماً قليلاً إذ جلس على حافة السرير قائلاً:

- كيم يجب أن تسامحيني.. خلتني أقوم بعمل خيّر لك. فعندما رفضت بشكل غريب إعطائي رقم هاتف زوجك، خلت أن في الأمر خطباً ما وأنكما متخاصمان أو منفصلان فسألت غيل عنه.

- وأخبرك غيل..

- إنه في عداد الأموات منذ ثلاث سنوات.. أجل.

هزت كتفيها..

- بإمكان أي كان استخراج الكلام من غيل فهو ثرثار كبير، ولهذا لم يكلم أمه.. ولكن لا داعي لتنزعج من نفسك.. لقد وقع ما وقع منذ وقت طويل.. لذا لن أبكي مجدداً.. في الواقع.. تكيفتُ مع

وضع وأصبحت ما يمكن تسميتها «بالأرملة الطروب».

ارتشفت قليلاً من الشوكولا الساخن وأغمضت عينيها:

- أود أن أنام الآن.. فلتنتظر أية أسئلة شخصية تريد طرحها حتى الغد فغداً سأكون أفضل حالاً بحيث أستطيع أن أطلب منك الاعتناء بشؤونك اللعينة الخاصة! ولكن لا تدع شيئاً يفسد عليك مرحك رجوك.. لا فرق كبير بين امرأة متزوجة خارج القيود، أو أرملة، كلتاهما صيد شرعي.. هذا ما تعلمته!

ربما لم تقل هذا بصوت مرتفع فعلاً.. ليست واثقة، إذ لم يحاول وران أن يرد.. مال فوقها يلمس أذنها بأصبعه.

- أرى أنك فقدت أحد قرطيك؟

انتفضت وقاومت الخدر الذي يهدد باجتياحها:

- قرطي؟.. أو.. لا!

رفعت يدها إلى أذنها اليمنى حيث ما يزال القرط الصغير معلقاً بلؤلؤة واحدة في وسطه ولكن أذنها اليسرى لم تكن تحمل غير ألم صغير حيث انتزع القرط من محله. قاومت لتخرج من تحت الأغطية:

- يجب أن أجده.. ربما وقع في الحمام..

- أو في أرض سيارتك، أو على الطريق.. لا كيم.. لا يمكنك التفتيش عنه الآن.. خاصة وأنت مخدرة.. استلقي إلى الخلف.

دفعها إلى الوسادة ولم تستطع مقاومته.. بل شهقت بغضب وحزن:

- اذهب إلى الجحيم!

ولم تعد ترى وجهه من خلال الضباب الذي غشى بصرها ولكنها سمعت الألم في صوته:

- الجحيم كيم؟ لقد سبق أن عشت فيه.. والحقيقة أنني لن أرسل إليه الد أعدائي.. نامي الآن.. نبحث عنه في الصباح.

فجأة أصبح إدي معها، تضمها ذراعاه ويمسح الدمع بمنديل معطر

برائحة عطر غريبة.. واسترخت عليه. سيكون كل شيء على يرام..

قالت له بحزن:

ـ لقد مضى زمن طويل!

واستسلمت للظلام.

* * *

٢ ـ لن أخجل منك!

أيقظ شيء يشبه صوت الانفجار كيم. فتحت عينيها على مضض رأت جان كلود يقفل باب غرفة نومها بهدوء، ثم لمّا أدارت رأسها رأت غيل أمام النوافذ المستطيلة يتصارع معها.

بعد الكثير من التذمر والطقطقة انفتحت النوافذ فقالت كيم معترضة:

ـ ألا تستطيع القيام بأي شيء بهدوء؟ وكأنني كنت أشهد هزة أرضية! لا أستغرب أن تكون أعصاب أمك متلفة!

تقدم غيل إلى سريرها متسللاً على رؤوس أصابعه بشكل مبالغ به:

ـ آسف كيم.

نظرت إليه بغضب:

ـ تأخر الوقت على مثل هذه الحركات الآن.. لقد حققتما الضرر وأيقظتماني!

كان مع الولدان منشفتان فرفعت جسمها قليلاً وقالت باهتمام:

ـ إلى أين؟ لا.. لا تخبراني بل دعوني أقلق!

التفتت إلى جان كلود الذي بدا لها أكثر سعادة:

ـ بونجور جان كلود، كومون سافا؟

تهلل وجه الصبي بابتسامة ملائكية، وسارع ليشرح ما خلاصته أنه اقترض غيل دراجة هوائية، وأنهما ذاهبان معاً إلى «ڤيلبير» حيث هناك مسبح ومدرب سيعلمهما السباحة، وأنهى كلامه بالإنكليزية، وهو

درس آخر تعلمه بشكل جيد:

- أنا.. سـ.. عيد كثيراً. وأنا أر.. جو أن تكوني بخير.

تولى غيل الحديث بعدما أنهى جان كلود كلامه.

- لقد استيقظنا منذ ساعات.. وذهبنا إلى المزرعة لنحضر الحلي ثم تناولنا الفطور.. من المؤسف ألا تستطيعي مرافقتنا.. قال ج كلود إن بإمكانك اقتراض دراجة ڤيڤيان، ولكن لوران قال إن الطبي قادم لذا لن تتمكني من مرافقتنا.

كشّرت كيم عن أسنانها في وجهه:

- هرر..! بعدما مررت به يوم أمس لن أتحرك بضع خطوات أي اتجاه اليوم.. في الواقع لا أظنني سأتحرك أبداً..

ثم أضافت إنما بجد هذه المرة:

- سيارتي.. غيل.. هل فتشت عن قرطي؟

هز رأسه: أجل لقد فتشنا الممر الداخلي جيئة وذهاباً، لكننا نجده.. يقول جان كلود إننا بعد عودتنا من المسبح سيخرج اكتشاف المعادن وسنبحث مرة أخرى. لم نستطع البحث في السيا لأن لوران أمر بسحبها من هنا، قائلاً إن منظرها سيسبب لك الهستيريا كما أمر بإبعاد الشجرة كذلك.

أمسك ذراع جان كلود:

- حسناً.. يجب أن نذهب الآن.. نراك وقت الغداء!

وتركا كيم بمفردها، تحدق إلى الباب وتتساءل عما فعل ليعاملاها بهذه الشهامة، دون سؤال واحد عن صحتها...

سارت مسافة قصيرة إلى الحمام فشعرت بصعوبة في التنفس وكانت سعيدة بالجلوس على كرسي الحمام حيث أغمضت عينيه بانتظار أن تثبت الأغراض أمامها. فكّرت أن لا شأن لهذا بالضربة التي تلقاها رأسها بل ربما هو تأثير الدواء أو ما تبقى من تأثيره. بعد حما بارد، غسلت فيه شعرها ونظفته من بقايا الأغصان الصغيرة والطحلب

ـلتصق به، أخرجت سروالاً من الجينز وقميصاً نظيفين.

تعرف أنها بهية الطلة جميلة ولكن هذه الطلة البهية وهذا الجمال ـا لها متاعب في السنوات الثلاث المنصرمة لذا تبذل جهدها في هذه ـام للتخفيف من تأثيرها.. جذبت شعرها المبلل إلى الخلف بقسوة ـطته على شكل «ذنب حصان»، بعدها ارتدت ملابسها وتقدمت إلى ـاولة الزينة لتتأكد من نظافتها ولباسها، ولكن المرآة خيبت أملها.. ـا زال وجهها شاحباً وما زالت الكدمة بارزة، وكأنها كانت تخوض ـركة ملاكمة.. تنهدت أسفاً ثم حررت شعرها من ربطته وأرخت ـصلة كثيفة على زاوية جبينها ورفعت ما تبقى من شعرها، ثم هزت ـأسها راضية من النتيجة.. لقد نجحت في إخفاء الكدمة القبيحة ـكل جيد وبعد ذلك لونت وجنتيها المفتقرتين إلى اللون.. ولكن ـماكياج العادي لا يخفي هذا لذا راحت تبحث في حقيبتها حتى ـجت النظارة الشمسية التي اشترتها للرحلة، وهي نظارة كبيرة قاتمة ـان تلتف حول وجهها وتغطي أثر الكدمة بشكل رائع. كانت تدس ـها في حذاء خفيف من القماش حين سمعت طرقاً خفيفاً على ـابه فالتفتت وإذا بها ترى لوران يدخل وهو يحمل صينية.

طافت عيناه فيها فبدا الإعجاب في عمقهما الرمادي:

- صباح الخير كيم. لا تهمني النظارات فأنا لا أرى عينيك ولا أعرف ماذا يدور فيهما.. هل هي ضرورية حقاً؟

رفعتهما لتظهر له طرف خدها الأعلى حيث الكدمة:

- ضرورية جداً..

ارتدت مجدداً إلى المرآة ثم راحت تلمس القرط على الطاولة:

- لم يجد الولدان القرط الآخر.. هل بحث أحدهم في السيارة.. لقد بحثت في الحمام وفي المناشف التي استخدمتها ولم أجده.

- وهل هو مهم لك؟

- أجل.. جداً!

www.mazna.com

لم تجد الشجاعة الكافية لتقول له السبب.. فقد اشترى إدي القرط حين ذهبا لاختيار خاتم الخطوبة.. نعم ثمنه غير غال فإدي يكن يملك ذلك الكم من المال، ولقد اشتراه بما تبقى معه من ما وهي تحتفظ به إضافة إلى ساعته وكأنه كنز ثمين.. وساعته هي الش الوحيد الذي نجا وهي تضعها طوال الوقت من أجل الذكرى.

رأت عينا لوران على أصابعها، حيث كانت تتحسس وجه الس الواسع.. وأجبرت شفتيها على الابتسام.. فما تعبر عنه عيناها مهم لأنه لا يراهما، ثم اتسعت الابتسامة:

- يا للغباء! نسيت تقديم ساعتي ساعة حين وصلت إلى فرنس الوقت متقدم أكثر مما ظننت وكنت سأنزل إلى تحت بحثاً عن ق فرنسية حقيقية.. فما احتسيناه صباح أمس في «بونت اودمير» مخ للأمل. قال غيل إن الطبيب قادم لكن هذا غير ضروري.. فأنا بخير

حمل لوران الصينية إلى الطاولة قرب النافذة:

- لا أشك في هذا.. تعالي وتناولي قهوتك كيم.. لقد جل فنجاناً آخر لأشاركك القهوة إن دعوتني إلى ذلك.

تمالكت كيم نفسها ثم دفعت بذكرياتها بعيداً قليلاً، وقالت بكآ

- بالتأكيد.. ستسرني رفقتك. لقد قال غيل أيضاً إنهما يستطيعا التفتيش في السيارة لأنك أرسلتها بعيداً.. وشيء آخر إصابتي بالهستيريا إن رأيتها..

هز كتفيه برشاقة:

- هذا ما يحدث كلما رأى المرء سيارته محطمة.. يبدو الض دوماً أسوأ مما هو عليه حقاً.. ما زلت أذكر جيداً الحادثة الأولى ال وقعت لي.. كانت سيارة والدي، إحدى السيارات السيتروين القد ولكنها كانت جديدة وقتذاك.. نظرت إليها وتساءلت كيف يمكن تصلح ثانية. وسيارتك تشبهها.. تضررت كثيراً من الخارج ول ليس هناك ما لا يمكن إصلاحه، لقد رآها الميكانيكي الذي أتعامل م

تعتقد أنها بحاجة إلى أسبوعين حتى تصلح، وربما أقل إن استطاع الحصول على قطع الغيار التي يحتاجها بسرعة.

- أسبوعين! لكنني لا أستطيع..

- ألم توافقي على البقاء هذه المدة هنا حين تكلمنا ليلة أمس؟.. لعلك كنت مخدرة فبت لا تذكرين شيئاً مما قلته؟ لقد وضع الولدان مخططاً لتسليتك، لكن بعد الظهر فقط بالطبع.. أما الصباح فسيكون مخصصاً للسباحة. فعندما وصل الخبار ما بينك وبين مدرب السباحة، على أنهما وضعاك في المرتبة الثانية.. هل تحبين القصور؟

شعرت بالسخافة ولكنها كبتت ضحكة:

- ليس كثيراً.. لقد رأيت قصر شامبورد وأظنه ساحراً.. بعد ذلك عدت إلى فرساي وعدت بعسر هضم.

- أكان مزخرفاً كثيراً؟ لا بأس، فالقصور في هذه الناحية أقل زخرفة..

قاطعته: «كنت أفكر أن لا حاجة حقيقية للعناية بسيارتي لبضعة أيام وأستطيع العودة بالقطار..».

- أوه.. لا.. أنا ألزمك بما وعدت به.. أسبوعان، وأعد بألا يمضي الوقت كله في زيارة القصور.. ففي إحدى أمسيات الأسبوع المقبل سترافقينني إلى عيد ميلاد مارسيل.. حفلة كبيرة في فندق كبير في الريف، ونحن جميعنا مدعوون..

ضحكت كيم.. لم تقل لا، بل شدت نظارتها الشمسية فوق أنفها، وحاولت تغيير الموضوع.

- يبدو غيل وجان كلود متفقين أليس كذلك؟ وأظن أن هذا أمر راجع نظراً إلى اختلاف اللغة وفارق السن، فالأولاد في هذا العمر يعتبرون السنتين فارقاً كبيراً.. ولكن ابنك لا يبدو مهتماً حين يأخذ دروس زمام القيادة

فوق فم لوران بابتسامة:

- ابني؟ أنت مخطئة سيدتي . . السيدة تريفيل التي تعيش في باريس ليست زوجتي، بل هي زوجة أبي، وجان كلود أخي الأصغر.

ولم يكن الوحيد الذي أثاره الفهم . . فقد تذكرت قول مارسيل العابث ليلة أمس . . واشتد ضغطها على فمها لأنها خدعت . . وتحرك أنفها بفتنة:

- وهل أنت المزارع؟ ذلك الذي تفضل المدموزيل مارسيل الزواج به بدل التمريض؟

- أجل . . ولهذا أريدك معي في حفلة عيد ميلادها.

تركت كيم كلماتها التالية تخرج كصقيع رهيب:

- سيدي، أرفض أن تستخدمني بهذه الطريقة. فلست في فرنسا لأخلصك من نتائج عبثك. نعم سأبقى هنا لأنني لا أحبّ أن أحنث بوعود قطعتها عني للوالدين، إنما لن أذهب إلى أية حفلة . .

أحست بالبرودة تتلاشى وتوقفت عن التصرف بطريقة مهذبة.

- إن زججت نفسك في ورطة بسبب تشجيعك لمراهقة فاسع إلى تخليص نفسك بنفسك لأنني لن أكون عوناً لك . . لدي من المتاعب ما فيه الكفاية لذا لن أزيد إليها التعامل مع ما سببته لنفسك.

ارتد لوران إلى الخلف مقلداً لهجتها:

- يا عزيزتي المدموزيل . . أنا لا أحتاج إلى مساعدة للتعامل مع فتاة مراهقة . . يمكنني التعامل مع نصف دزينة من مثيلاتها ويداي وراء ظهري . . ولكنني لا أرغب في إيلام أحد خاصة من هي صغيرة ضعيفة مثل مارسيل.

قالت بحدة: «إذن لماذا لم تبدأ عملية الإحباط أبكر من ذلك؟ ترى أأشبع غرورك وجود فتاة صغيرة بين قدميك؟ تبدو في حوالى الخامسة والثلاثين من عمرك، وهذا يعني أنك كبير بما فيه الكفاية لتفهم الدلائل . . أظنك خدعتها . . ».

استحوذ عليه الغضب:

- أيتها الحمقاء! لم أفهم الدلائل كما تقولين . . لأنني لم أكن أبحث عنها . . فقد كانت دائماً طفلة، ولم أفكر فيها قط بطريقة أخرى حتى ليلة أمس حين دعت نفسها إلى العشاء وأنت مرتدية ذلك الفستان الرهيب . . والآن أريد منها أن تفهم رفضي وذلك بإظهار اهتمامي بشخص آخر . . فلو بقيت بلا ارتباط لتحول افتتانها الصغير إلى تعلق كبير ولن تستطيع التعامل معه . . وهي مدللة وعنيدة عناداً قد يدفعها إلى القيام بما هو أحمق. لقد رأيت كيف كانت ليلة أمس . . مع أنني لم أشجعها قط.

فتحت كيم فمها لترد عليه رداً حاداً ولكنها ما لبثت أن أطبقته . . ماذا دهاها بحق الله؟ هي تكره التدخل بشؤون الناس خاصة منهم الرجال فمنذ وفاة إدي امتنعت عن التعامل مع الرجال ولكنها لم ترغب قط في إيلام أحد . . فهي تعرف أكثر من غيرها عن الألم، ولوران على حق.

تذكرت أوقاتاً كانت تعلم فيها في مدرسة خاصة بالفتيات، كانت الفتيات البالغات السادسة عشرة من عمرهن يغرمن بالمدرسين الذكور . . وتذكر أن شاباً ترك عمله بعد فصل واحد . . وأن معلم متزوجاً اختار أن يكون عاطلاً عن العمل على التورط مع صغيرة في الصف السادس! كانت كيم قد ضحكت على هذا وهي تخبر إدي ولكنه لم يضحك بل أحس بالأسى على الرجل، وقال:

- يا للمسكين . . لم يكن لديه خيار . . ما من رجل قد يملك خياراً أمام فتاة مصممة حقاً . . انظري إليّ أنا مثال على ذلك . . مغلول اليدين مقيد إلى امرأة مصممة . . لقد اصطدتني وأنا صغير وأصبحت لا أعرف كيف أقاوم!

تذكر أنها سألته:

- وكم يجب أن يكون عمرك؟

فضحك مجيباً:

ـ تسعة عشر!

شدت نفسها من الماضي إلى حاضرها هذا، إلى لوران الذي كان يراقبها بوجهه الصارم مبتسماً، ليس لها بل لنفسه.

تمتمت بحزن:

ـ أنا آسفة.. لم أكن لطيفة.. كنت مدرّسة في مدرسة بنات وأعرف أن اللوم لا يقع عليك.

ـ أنت مدرّسة؟

ـ لا.. كنت مدرسة.. لقد توقفت عن التدريس منذ سنة ونصف للعمل بالترجمة. كنت أعلم الفرنسية، إنما رجاء أرجوك لا تطلب مني أن أتكلمها.. فبعد ثمانية عشر شهراً من عدم التكلم بها تجعلني أشك في النجاح.

فكرت قليلاً ثم اتخذت قراراً سريعاً:

ـ طبعاً سأرافقك إلى الحفلة.. فقد آن الوقت لأشغل نفسي بالتحدث بالفرنسية للمحافظة على اتقانها، وهذا ما تفعله أنت دون شك لأن إنكليزيتك متقنة.

هز لوران رأسه:

ـ يُفترض أن تكون متقنة.. فقد أمضيت عشر سنوات في الخارج، ثلاث منها في أميركا، وسبعة في انكلترا، كنت خلالها أدرس وسائل الزراعة وتقنياتها وتربية الحيوانات.

ـ لا أستغرب إتقانك اللغة الإنكليزية إذن.

ونسيت شجارهما الصغير وهي تصغي إليه وهو يصف الناس والأمكنة.. وجدت كيم أنها تشعر بالراحة معه وكأنه صديق قديم.. نعم لم يكن صديقاً قديماً بحيث تفتح له قلبها وتتحدث إليه عن أمورها الشخصية ولكن تحفظها اختفى ووجدت نفسها تضحك، وهذا ما لم تفعله كثيراً منذ وفاة إدي.

جاء الطبيب وذهب.. وعليه خيبة الأمل لأن إصاباتها كانت

خفيفة.. آمنت أن الرجل الصغير الحجم تمنى لو كانت مصابة بارتجاج دماغي وبدا آسفاً لأنها لم توفر له مثل هذه الحالة.. وقت الغداء وبعد عودة الصبيين، انضمت إليهما وإلى لوران في المطبخ، حيث استمتعت بتناول طبق من البيض المخفوق مع شرائح كبيرة من الخبز المستدير الطازج، تبع ذلك حلوى التفاح.

بعد الغداء انشغل غيل وجان كلود بمكتشف المعادن إذ راحا يبحثا عن القرط في الطريق الداخلية.. وكان شعر غيل الأحمر منتصباً من فرط الإثارة، وعيناه الزرقاوان شعتا ترقباً لاكتشاف كنز طال نسيانه، وعندما رفض عرضها بالمساعدة سارت تتمشى إلى ما ظنت أنه آخر المنزل، ولكن تبين لها العكس.

هنا، كان الباب الرئيسي يقود إلى درجات حجرية تنقسم في منتصف الطريق إلى فرعين مستديرين بينهما بحيرة صغيرة، وكانت كيم تتمشى عند حافتها لترى إن كان فيها أسماك عندما جاء لوران لينضم إليها.

قالت متسائلة:

ـ كنت أعتقد أن المزارعين يعيشون حياة عمل دائم بحيث لا يجدون وقتاً للتكاسل. أم لعلك من المزارعين الأسياد؟.. أقصد مزارعاً يعيّن مديراً يقوم بالعمل الحقيقي فيما السيد جالس لجني الأرباح.

ـ أبداً.. فبسبب وجود زوار عندي أعطيت نفسي فرصة إلى ما بعد الظهر وابتداء من صباح الغد سأعمل جاهداً كحالي دائماً.

تأملته من وراء نظارتها القاتمة. إنه طويل، نحيل، عريض المنكبين.. كانت الشمس الساطعة تنعكس فوق شعره الأسود الأملس ولكنها تعرف أنه لو حاول تجعيده لانقلب إلى خصل مسترسلة كتلك التي على رأس جان كلود الصغير.

فجأة ارتدت عنه لتنظر إلى الماء مرة أخرى.. لا فائدة من تذكر

www.mlazna.com

إدي، لقد ذهب ولا شيء أبداً سيعيده.. طالما قالت لها جيني إن عليها نسيانه ولكن النسيان صعب، خاصة والوحدة الباردة تتملكها بحيث لا يمكنها ملء فراغها إلا بالذكرى.

كأنما من بعيد سمعته يكرر سؤالاً لم تسمعه:

ـ أخبريني كيم.. هل أعجبك منزلنا؟

ربما قوله «منزلنا» وليس «بيتنا».. أو ربما تلك القشعريرة الباردة التي سرت في أوصالها بسبب لهجته هي التي حذرتها.. فرفعت رأسها من تأمل البحيرة الصغيرة ونظرت إلى المنزل المهيب.

قالت: «إنه مهيب.. لكن النوافذ بحاجة إلى طلاء.. أعتقد أن حرارة الصيف تؤذي الطلاء كثيراً».

في الواقع لم يعجبها البيت كثيراً.. نعم لا بأس بهذه الحديقة وبالبحيرة الصغيرة وبذاك المرج الأخضر، أما المنزل.. فلا! لأنه «منزل» وليس «بيتاً».. لقد تأملت عدة غرف وهي في طريقها لتناول الغداء فوجدت أنها كلها صورة عن الصالون، مزخرفة كثيراً... مع ورق الجدران والخشب الماهوغوني البراق بدت مجرد صالة عرض وغرفة الجلوس الصغيرة والكراسي المنجدة بالقماش المطرز وستار المدفأة تبدو للعرض أكثر منها للاستخدام. وقد توقعت أن ترى ممرات تحدها الحبال وملاحظات مكتوبة للزوار للالتزام بالخط المرسوم، وعدم الدخول إلى أي من الأجنحة!

قال لوران وقد بدا عليه الرضى:

ـ آه.. لم يعجبك.. صباح الغد إذا كنت قادرة على السير كيلو متراً، سأريك شيئاً أفضل منه.. أو على الأقل آمل أن تظني أنه أفضل.

ـ وما هو؟

ـ انتظري إلى الغد.. كوني صبورة!

وابتسم ابتسامته الساحرة.

لم يكن التنقيب في طريق المنزل الداخلية يشمل القرط إذ اكتشف

غيل وجان كلود بضعة سنتيمات، وفرنكاً واحداً، وزراً نحاسياً وبضعة مسامير صدئة.. ولكنهما كانا مذهولين ومستمتعين باكتشافاتهما، بحيث أقبلا بشغف على العشاء حين قدم في غرفة الطعام.

بعد العشاء قال لها غيل إنه وجان كلود سيعيدان الصحون المتسخة إلى المطبخ على العربة.. وكان يصف بدقة كيف تملأ العربة حين رن جرس الهاتف، فأرسله لوران إلى الردهة ليرد.. ما هي إلا دقيقتان حتى عاد متورد الوجه، والخجل في عينيه الزرقاوين.

ـ أمي تريد التحدث إليك كيم.

أمسك بفستانها ما إن مرت به:

ـ لم أقصد أن أخبرها.. صدقاً.. حاولت ألا أخبرها، لكنها راحت تطرح السؤال تلو السؤال فارتبكت وزل لساني.

عبثت كيم بشعره الأحمر:

ـ انسَ الأمر.

قالت جيني بصوت حاد:

ـ ما الذي أخبرني إياه غيل؟ ماذا فعلت بابني؟

ـ لقد هززته قليلاً.. هذا كل شيء.. أقسم أنه لم يتعرض لأي خدش.

ـ قال إنك قدت السيارة إلى شجرة!

ـ هذا صحيح.. لكن غيل لم يصب بأذى بل أنا الوحيدة المصابة.

ـ أتقولين ما تقولينه لتهدئي روعي فقط؟ فإن عرفت أنك تفعلين هذا.. من المفترض أن أدخل إلى المستشفى غداً.. لا، لن أذهب بل سأكون عندكم بلمح البصر لألقنك درساً قاسياً.

صاحت كيم: «إنه غير مصاب. أنا المصابة.. كدت أصاب بارتجاج في الدماغ. أنا المصابة لا ابنك الغالي!»

تنهدت جيني بصوت مسموع ارتياحاً:

ـ إذن، لا بأس في هذا.. كلمني بالأمس رجل عذب الصوت،

قال إنه شقيق جان كلود.. فما شكله؟

- عمره عشر سنوات، أسمر، ومحبوب.

وبختها جيني:

- لا أقصد الصبي.. بل الرجل.. الذي اتصل ليقول لي إنكما وصلتما بخير. بدا لي رائعاً، ومثيراً.. هل هو متزوج؟

- لا.. يا خالتي العزيزة جيني.. أنا أطلب نصيحتك.. لقد حملني إلى غرفة نومي فهل يضمر برأيك نوايا شريرة تجاهي؟ إنه طويل، أسمر، وسيم، في الخامسة والثلاثين من العمر وهو غير متزوج لكنه يبدو رجلاً خبر الحياة.. أيجب أن أكون حذرة؟

صاحت جيني بإيجاز:

- تمسكي به.. يبدو لي مناسباً.. سأتصل بك مساء الغد من سريري في المستشفى.. وداعاً الآن.

كادت كيم تصيح:

- لا تقفلي الخط.. ألم تفهمي؟.. أنا محجوزة هنا.. مقطوعة! سيارتي باتت خربة وهي بحاجة إلى أسبوعين حتى يتم تصليحها..

لم يكن في رد أختها المختصر غير كلمة واحدة «عظيم!» وأقفلت السماعة تاركة كيم ترغي وتزبد وقطعة البلاستيك السوداء الميتة في يدها.

حين عادت إلى غرفة الطعام كانت متوردة الوجه فجلست بقوة تحدق إلى ابن أختها الذي ابتسم بحياء:

- هل كل شيء على ما يرام الآن؟

وبخته بلطف: أكان يجب أن تخبرها؟

ابتسم: لقد أخبرتها بالحادثة من بين أشياء أخرى عديدة. أخبرتها عن تجاوزك النور الأحمر، واكتشافهم أمرك وضياعك عن الطريق خارج «أنجير».. ثم قلت لها إننا نمر بوقت ممتع حتى الآن.

- ممتع كلمة مناسبة.. غيل أنت لست ملاكاً بل جنياً شريراً..

«آفينيون».

كانت تهم بالقول إن البلدة تبدو بعيدة الآن أكثر ولكن جان كلود قاطعها بالفرنسية:

- يجب أن تبقي هنا مدام كيم.. سيكون الطقس حاراً في آفينيون... وغير مريح لذا لن يعجبك. بلادنا أجمل ولدينا أماكن جميلة كثيراً نريد أن نريك إياها.. لقد وضع غيل لائحة، ووجدت كتاب الدليل المناسب. خططنا للقيام برحلة استكشاف صغيرة كل يوم، وإن لم يستطع لوران أن يقلنا سنستقل الباص فأنا أحبه.. وسنعطينا فيڤيان الطعام في سلة وسنقوم بالنزهات.. فأنا أحب النزهات أيضاً.

رد الأخ الأكبر بالفرنسية: «أسكت أيها الثرثار».

وتبع هذا تبادل حديث سريع لم تعتد أذن كيم عليه، لذا لم تلتقط كلمة من عشرين ولكن في النهاية بدا جان كلود أكثر ارتياحاً، والتفت لوران إلى كيم:

- هل فهمت كيم؟

عندها هزت رأسها ضحك:

- لا..؟ هذا ما اعتقدته لأننا تحدثنا باللهجة المحلية. قلت لجان كلود إنك ستبقين معنا أسبوعين على الأقل، وإنني سأرافقك لزيارة القصور متى استطعت، وإننا مساء السبت سنحضر حفلة عيد ميلاد مارسيل.

برقت عينا غيل:

- بإمكاني ارتداء الزي الاسكتلندي، التنورة، في هذه الحفلة؟

لا شك أنه يحب ارتداء ثوب «هايلاندر» وتنورته ووشاحه والجوارب الطويلة وهي جميعاً موضبة في أسفل حقيبته.. وهذا ما جعل كيم تفكر في ما سترتدي فعندما راجعت في عقلها محتويات حقيبتها لم تجد ما يناسب حفلة.

تعرف أن الحفلات الفرنسية تميل إلى الترف.. فالجميع يرتدي أفضل ما عنده.. وأفضل ما عندها كان ثوباً ضيقاً من الصوف المحبوك وضعته في الحقيبة في اللحظة الأخيرة لحضور العشاء في الفنادق.. والمشكلة الأخرى أنها لا تستطيع الإنفاق من المال الذي معها.

قرأ لوران أفكارها.. فقال:

ـ إن لم يكن لديك ما ترتدينه، فسأرافقك إلى «أنجر» غداً لإلقاء نظرة على المتاجر.

قالت بحزم: «أنا في عطلة لا في جولة تسوقية».

قال وعيناه تبرقان:

ـ لكن.. فكري في المال الذي ستوفرينه بإقامتك هنا، فهنا لن تنفقي نصف ما قد تنفقينه في فندق.

ردت بسرعة تقاطعه:

ـ هذه هي الملاحظات التي تتكفل بجعلي سيئة الأخلاق.. إن ذكرت أشياء كهذه ثانية فلن أتردد في دفع تكاليف إقامتي! الفستان الذي معي كافٍ. نعم هو غير فائق الأناقة ولكنك لن تخجل مني.. أعدك.

تلاشت نقطيبته بسرعة والتوى فمه بابتسامة:

ـ لا شأن للخجل في الأمر لأنني لن أخجل أبداً منك كيم..

في رأسها صوت يحذرها: الخطر الخطر! أحست بتهور يجعلها تتجاهله ولكن التعقل فاز ثم انشغلت عما تفكر فيه بسبب غيل وجان كلود اللذين بدءا بجمع الصحون بغية تنظيف الطاولة بأسرع وقت ممكن.

ذعرت كيم عندما راحت تسمع صوت الأطباق وهي توضع فوق بعضها بعضاً.

سألت: «أتثق بهما لفعل هذا؟ أنت متفائل فكل هذا من الخزف الصيني الفاخر».

قال وكأنه يأمل: «فليكسرا إن شاءا كل قطعة منها، رافقيني إلى «الصالون» كيم ودعيهما ينظفان المائدة.. ثمة موقد متأججة فالأمسية باردة جداً».

التفتا إلى الولدين:

ـ نصف ساعة لا أكثر.. بعد تنظيف المائدة ونقل الأطباق إلى المطبخ ستعطيكما فيثبان شراباً ساخناً قبل الحمام والنوم.. قولا «عمتما مساء» الآن.

لاحظت كيم أنهما لم يجادلا بل خرجا طوعاً، فقالت بإعجاب أخفته بسخرية مرة:

ـ أنت معتاد على إصدار الأوامر.. يجب أن أتلقى دروساً منك لأنني حتى الآن أجد صعوبة في إرسال غيل إلى الفراش.. ولا أظن أن أمه ناجحة في هذا المضمار أيضاً.

قال لوران بوقار:

ـ لقد أديت خدمتي العسكرية وهي التي جعلتني منيعاً أمام النظرات المتوسلة.

قبل أن تتحرك كان قد دار حول المائدة ليضع يده تحت مرفقها:

ـ تعالي إلى النار.. ستكونين هناك دافئة.. هذه هي مشكلة هذه الغرف الكبيرة الحجم.. تتلظين حرارة في أحد أطرافها وتتجمدين برداً في الطرف الآخر.. وبما أننا قريبون من النهر فالأمسيات رطبة دوماً.

***

www.alazna.com

٣ ـ من يحميها؟

في الصالون تجنبت كيم الأريكة التي مددت عليها في الليلة السابقة، وجلست في مقعد قرب النار، ووافق لوران على خيارها.

ـ إنها غير مريحة، أليس كذلك؟ ولكن لو لم تكن محشوة بحشوة قاسية لتجعد الساتان. إنها محشوة بشعر الجياد.. انتظري قليلاً.. سأجلب القهوة.

ـ طبعاً.. لا أشعر بالنعاس أبداً.

ـ جيد.. سنتكلم قليلاً بعد عودتي.

ـ أتطلع شوقاً إلى هذا.

إنه رد منافق، ولكنه ضاع لأنه كان خارج الغرفة ولم يسمعه.. ركزت كيم اهتمامها على اللوحات القديمة المزخرفة الإطارات. كانت لوحات قاتمة، ولكن فوق المدفأة لوحة ضخمة تمثل معركة. وأخذت تعد الدخان الأبيض المتصاعد من أفواه المدافع في أرض المعركة، كان نابوليون على صهوة جواد يدير العمليات..

عاد لوران بصينية في اللحظة التي ارتسمت فيها ابتسامة حزينة على ثغرها. وضع الصينية في متناول اليد ثم جلس على مقعد وكانت كلماته التالية كذر الملح على الجرح:

ـ ألم تكن شقيقتك متعاطفة؟

ـ لا.. لم تكن متعاطفة.. وأظن أن السبب مفهوم.. فغيل هو ابنها وأنا مجرد شقيقتها.. ولكن عليّ أن أنصفها فهي لا تدلله مع أنه

يملأ عليها دنياها فسبب سفر زوجها الدائم يجب أن تكون الأم والأب في آن واحد.

ضحكت: وهذا ما يخلق وضعاً لا يطاق، فلن ينقذني شيء من لسانها بعد الآن. جيني سائقة ماهرة كانت تشارك في السباقات.. وطالما قالت إنني لا أفكر بسرعة كافية.. ومنذ الآن فصاعداً ستجد ما تتحدث عنه.

راقبته وهو يسكب القهوة برشاقة، ثم قالت:

ـ أليس غريباً أن يتفاهم غيل وجان كلود على هذا النحو؟ فلا أحد منهما يتكلم لغة الآخر.

نظر إليها بتفهم.. وكأنه عرف أنها تريد الخروج من الحديث الشخصي.

ـ أجل.. إنما لا أحد منهما يجهل لغة الآخر كلياً.. هما كالعديد من الأولاد، لا يهتمان بأن يبدوا غبيين أمام الغرباء الراشدين. لقد اقترح غيل أن يزوره جان كلود في عطلة الميلاد.. أعرفت هذا؟

هزت رأسها نفياً:

ـ لا يخبرني أحد شيئاً.. ولكنه لن يقترح هذا إن لم تكن أختي موافقة وبناء على ذلك أرجو أن تسمح له بالذهاب فجيني تقيم عادة عيد ميلاد رائع وأظن أن جان كلود سيستمتع كثيراً.

ـ وأنت كيم هل تنضمين إلى هذه الأعياد الرائعة؟

ـ كنت، ولكنك تعرف كيف هي الأمور.. تترك المنزل فيصبح لك أصدقاء مختلفون..

لن تقول له إن جيني نفسها جعلت حضورها مستحيلاً، لأنها تدأب دوماً على دعوة رجل أعزب ليكون رفيقاً لها ثم تقول لها: آن الوقت لنسيان الماضي والبدء من جديد، ثم هناك الحفلات التي تكون فيها غريبة بلا رجل بين كل المتزوجين.

أضافت: في الواقع أنا لا أحب الحفلات كثيراً.. لهذا أنا مترددة

بشأن حفلة ميلاد مارسيلا.. ألا يمكنك فعلاً تدبر أمرك بدوني؟ لأنني أفضل عدم الذهاب.

- وتحرمينني من حمايتك..؟

سخرت بلطف:

- حمايتي؟ أنت لا تحتاج إلى من يحميك لوران.. ما الذي قلته؟ إنك قادر على التعامل مع أمر كهذا بيد واحدة؟ ربما من الأفضل أن نقف بعيداً تراقب مارسيل تكبر وتنساك.

تمتم: «تستحوذ على تفكيرها فكرة الزواج».

لم تأخذ الأمر على محمل الجد:

- هذا ما سمعته.. لدى بعض الفتيات الصغيرات هذه الفكرة أعني الزواج من رجل كبير. عليك أن تترك هذا للوقت فهو خير علاج لما تعاني منه.. يوماً ما ستلاحظ شعرك الرمادي..

أجفل وكأنه يتألم:

- آه.. لك لسان سليط حين تتركين له العنان كيم.. لست كبيراً إلى هذا الحد.. والواقع أني أخشى أن تستغلني مارسيل يوماً، وإن حدث ذلك سأندفع إلى المذبح لألتصق بحورية مثيرة لما تبقى من حياتي.

ردت ساخرة: «وهذا على الأرجح خير ما تستحق».

- أيتها الأفعى السامة!

أثارتها ضحكته فردت مبتسمة:

- ربما.. لكن هذا أفضل من أن تكون جباناً فتختبىء من امرأة خلف تنورة أخرى.. كان يجب أن تكون أكثر حذراً وأن ترى ما كان يجري قبل أن تقع الفأس في الرأس.

حاول أن يبدي البراءة:

- لكنني لم أشجعها. أؤكد لك أن الفتاة تخيلت كل شيء..

- ربما ما تقوله مجرد تهيؤات.. تظاهر بأنها لا تعني ما تفعل،

فلربما لن تفعل.

- لا.. لا أجرؤ على المخاطرة.. لذا يجب أن تكوني معي.. قلت إنك آتية وأنا ألزمك بوعدك.

قالت ساخرة: «سأندم على الأرجح.. ولكن أرجو ألا تكون عندك نية العبث معي.. لأنني أحذرك..»

- إنه آخر ما قد يخطر ببالي!

* * *

اندست كيم في الفراش الدافىء.. كان يومها شاقاً لذا تريد أن تنام عوض الاستلقاء للتفكير.. لقد أجبرت على الضيافة بظروف خارجة عن إرادتها، وأفضل طريقة هي القبول بالأمر الواقع والمحافظة على هذا التقدم المرح الذي ابتدعته لتوها والذي يبدو لها ناجحاً.. عندما ردت على لوران رداً أو ردين لاذعين خالت نفسها تسمع صدى صوت جيني في صوتها، وهذا ما ليس بالأمر السيء فالمرة الوحيدة التي كانت فيها نفسها حقاً هي حين اقترح أن يصنع جواهري يعرفه واحداً لها إن لم يجدوا لها القرط.

محا التفكير في بديل عن القرط الابتسامة عن وجهها، ورفضت العرض.. ولكنها لم تشرح السبب.. فليس من الممكن الشرح الغريب، بأن الذكرى ستفسد وأنها حين تلمس القرط الجديد أو تنظر إليه لن تتذكر إدي بل لوران تريفيل.. همست لنفسها: كوني حذرة يا فتاة!

في أوقات كهذه كم ترغب كيم في التحدث إلى إدي الذي كان دائماً شخصاً منفتح الذهن صريحاً... على عكس لوران كلياً.. هاك.. اللعنة..! إنها تفكر فيه مرة أخرى.. حوّلت أفكارها عمداً إلى سيارتها.. هذا هو الأمر المهم الآن، فمن دونها تبدو «آڤينيون» بعيدة المنال.. تستطيع أختها أن تكون مهينة، وأن تدعو هذا «حج كيم» لكن

الأمر أكثر من هذا بكثير.. إنها تسعى إلى بداية جديدة.. وبرأيها هي بداية لن تجدها إلا في «آڤينيون» حيث كانت سعيدة جداً.

استيقظت في اليوم التالي على صباح آخر جميل، فتحت المصاريع الخشبية فرأت الندى يلمع على الشجيرات الشائكة الصغيرة التي تحد مساكب الزهور. ما زال الوقت باكراً، ولكن في المنزل تتعالى أصوات غيل وجان كلود اللذين يقومان بأعمال مهمة، كالتفتيش عن ثوب السباحة والمنشفة..

استحمت بسرعة وارتدت ملابسها.. حين وصلت إلى المطبخ وجدت غيل يشارك جان كلود، فطور «السيريل».

قال بخفة: «جان كلود يحب «السيريل» وأنا كذلك.. سنتناول بالتأكيد الكرواسون فيما بعد.. فقد نجوع كثيراً إن لم نأكل جيداً. إن شاهدت شيئاً من «السيريل» في أي مكان اشتري لي منه رجاء».

قبلت كوب القهوة من ڤيڤيان راضية.

ـ لك ما تريد!

ودخلت في حوار من جانب واحد مع الطباخة ومدبرة المنزل التائقة إلى الكلام. وراحت كيم تصغي بانتباه.. فاللكنة مختلفة وهي لا تشبه ما استخدمه لوران وجان كلود من قبل، لكنها فكرت قليلاً قبل أن تحزر:

ـ من بريتاني؟

ـ مي وي..!

ابتسمت المرأة وانطلقت في ثرثرة أخرى فعادت كيم تصغي مجدداً بانتباه، تلتقط كلمة من هنا وكلمة من هناك. حتى تمكنت من فهم الخلاصة.. خرج لوران باكراً ولكنه عائد ليرافقها في نزهة وتنصحها بمعطف سميك لأن الصباح ما زال بارداً.

قال لها لوران وهو ينظر إليها من باب المطبخ:

ـ يبدو أنك تلقيت تعليماتك.. ڤيڤيان من قرية أمي، ولقد جاءت

إلى هنا يوم ولادتي لذا ترينها تصدر الأوامر.

تابعت تناول الكرواسان واحتساء القهوة أما لوران فطفق يتحدث إلى الولدين، ثم جلس في زاوية المائدة يدخن سيكارة ويشرب قهوته.. أخيراً وقف يمد يده لها فتظاهرت بأنها لم تره:

ـ حان وقت الذهاب.. هل أنت على استعداد كيم؟ لن ننتظر الولدين، سيلحقان بنا على دراجتيهما.

تجاوزهما الولدان على الطريق وصاحا أنهما عائدان وقت الغداء.

تنهدت كيم تتمتم:

ـ أحس أنني شخص غير مرغوب فيه في هذه الرحلة.

ضحك لوران ساخراً ثم أمسك يدها يضغط عليها:

ـ قلت لك إنه لا يمكنك منافسة مدرب السباحة، خاصة مدرب يعطي إشارات تمييز مهنية.. ولكن دورك آتٍ فعلى تلك الإشارات أن تخاط على ثياب سباحتهما. للنساء استخداماتهن الخاصة!

امتعضت منه كيم وراحت تراقب الولدين وهما يتسابقان.

تمتمت: «لا مانع عندي ما داما بخير!»

ـ على هذه الطريق؟ لا تخافي إنها طريق لا تستخدم إلا قليلاً.. فمعظم السيارات تستخدم الطريق الأخرى، واعلمي أنه ليس في نهايتها غير «ڤيلبير» وليس فيها منعطف آخر لذا لا يمكن أن يضيعا حتى.

ـ آسفة.. لا شك أنني أبدو كأم الصبصان.. لكن أختي تثق بي، ولقد فعلت الكثير حتى الآن.. ولو تعرض لمكروه لما استطعت العودة أبداً.

اجتازا نهراً صغيراً، وكم ودت لو تتوقف لكن لوران استعجلها ليسلكا باحة مرصوفة بالحصى، تحيط بها مباني مزرعة جيدة الترتيب والصيانة. هناك جعلها تنتظر أما هو فاتجه إلى المبنى الأخير.. لكنها لم تنتظر لأن سيارتها في مكان ما هنا وهي جاءت لتراها وستراها.

كان كل شيء صامتاً إلا أصوات الحيوانات.. بدا الباب الثاني

www.mlazna.com

الذي دفعته واعداً.. وشاهدت رغم الظلام جرافة مفككة، ثم لمّا اعتادت عيناها على العتمة لمحت مؤخرة سيارتها.. لم تكن في حالة سيئة على أي حال.. ! سارت حولها إلى المقدمة فإذا تفاؤلها المؤقت ينهار وكأنه بالون ثُقب فجأة.

لم يكن لها مقدمة.. بل هناك شيء يحمل ملامح مجهولة لمحرك وثمة أشياء مستديرة بارزة إلى الأمام فقدّرت كيم أنه مكان المقود.. ثم الزجاج الأمامي ولا شيء غيره! لا تبدو أبداً مناسبة إلا للكسر.

جاءها صوت لوران من خلفها:

ـ قلت لك انتظريني. أما قلت لك إن عليك عدم النظر إليها؟

ارتدت إليه يائسة.

ـ أنظر إليها؟ ولماذا لا أنظر إليها؟ إنها لي. ألا يسمح لي بحضور الجنازة؟ أنظر أنت إليها.. هذا ما فعلته بها شجرتك اللعينة! لم تعد صالحة لسوى الدفن، لذا أنهِ أمرها في أسرع وقت ممكن.. أتسمح؟ ما الفائدة من محاولة تصليحها؟

وضع ذراعه حول كتفيها مواسياً:

ـ ليست سيئة كما تبدو.. إنها بحاجة إلى جناحين جديدين وغطاء محرك وإلى دفاع جديد ومبرد ماء جديد.. وربما إلى مقود، وزجاج أمامي.. لا شيء في المحرك.

قاطعته تصيح:

ـ وكم سيستغرق إصلاح كل هذا؟.. كل شيء في غير مكانه.. لن أصل إلى آقينيون أبداً!

صمتت قليلاً تفكر ثم أضافت:

ـ أتظن أنني أردت المجيء إلى هنا؟ لا.. كنت أقوم بخدمة فقط، وانظر ما آلت إليه الأمور.

حررت نفسها من ذراعه، وجلست على الأرض الإسمنتية الباردة تنتزع نظارتها وتدفن وجهها في يديها تاركة الدموع تهطل على وجهها.

جلس لوران قربها وشدها إليه ثم قال مهدئاً:

ـ ليست بالسوء الذي تبدو عليه! أسبوعين وترينها كالجديدة كيم! في الحياة ما هو أسوأ بكثير من سيارة محطمة.

ـ أسبوعين.. تؤكد دوماً على أن إصلاحها لن يستغرق إلا أسبوعين.. وهل يجب أن أكون شاكرة على هذا؟ لن يبقى لي ما يكفي من وقت لأقوم بما أريد القيام به والذهاب إلى حيث أريد.. أحتاج على الأقل إلى ثلاثة..

قاطعها: أنت بحاجة إلى فنجان قهوة.. تعالي!

شدها لتقف ثم اقتادها وجرها إلى الباحة الغارقة بأشعة الشمس.. حيث توقف أمام ما يبدو شرفة لأحد المنازل.. ولأنها لم تكن راغبة في لقاء أحد في هذه اللحظات شدت نفسها من قبضته. أليس لديه عقل راجح؟ هاهو يدفعها للقاء أشخاص آخرين في وقت هي فيه حزينة وباكية وأنفها أحمر وجفناها مثقلان بالدموع؟

وكأنه قرأ أفكارها:

ـ لا بأس عليك، لا أحد هنا.. هذا ما كنت أخبرك به بالأمس.. إنه منزل المزرعة الأصلي وهو فارغ كلياً.. ولكننا نستطيع إعداد القهوة فيه.. لقد أنهى الكهربائي إصلاح الأسلاك فيه بالأمس..

وقفت كيم في الردهة، وسط روائح الخشب والمعجون والطلاء..

سألت: ما هو هذا المكان؟

فتح الباب ولحقت به إلى المطبخ الذي أضاءته أشعة الشمس، في هذا المطبخ معدات جديدة براقة.

ـ ديودونيه.. هبة الله الأصلية «ديو دونيه»!

أخرج آلة صنع القهوة الكهربائية، وعلبة قهوة، وسكر، وكوبين صفراوين، وفتش في درج عن ملاعق صغيرة ثم ملأ آلة القهوة بالماء.

أدارت كيم ظهرها وأخذت تنظر من النافذة إلى حديقة حديثة

الرصف. مسحت عينيها وأعادت وضع نظارتها لتخفي وجهها خلف الزجاج القاتم.

تمتمت بوقار: «أنت في غاية اللطف!»

- سيكون بيتي.. أنا وجان كلود.. هنا ولدت وعشت في السنوات الثمانية عشر الأولى من عمري وهنا أنوي أن أعيش ما تبقى من حياتي.

سارت كيم على الأرض المرصوفة حديثاً، ونظرت إلى النافذة وراحت تتمتم وكأنما لنفسها:

- فيه لمسة المكان الرائع.. فهو دافيء وودود.. لكن إذا كان هذا «ديودونيه» فما هو ذلك المكان؟

أشارت إلى سقف أزرق هو للمنزل الذي تركاه. لحق بها لوران إلى النافذة بعدما شغّل آلة صنع القهوة.

- ذاك.. إنه الوحش.. منزل لا يشبع أبداً.. أما هذا فبيتي، وأنا أنوي العيش هنا على مقربة من عملي وحيواناتي، ومن كل ما أعرفه منذ الصبا، إنه المكان الذي أنتمي إليه أنا وجان كلود. إنه ابن أبي.. وليس منا من ينتمي إلى ذلك المنزل المسخ ذي السقوف المطلية، واللوحات القاتمة، والأثاث الأثري المزيف.

حوّل اهتمامها إلى المرعى وراء البستان في أسفل الحديقة حيث الأبقار ترعى في عشب نام.. جلودها الحمراء والبيضاء تلمع صحة..

قال برضى: «إنها ماشية نورماندي.. سليلة ما جلبته أمي إلى هنا كجزء من مهرها «الدوطة». كانت ابنة مزارع وكانت تساعد في حلبها حتى اشترى أبي آلة الحليب».

- إذن.. لماذا تركت هذا المكان وذهبت للعيش في المنزل الآخر؟..

بدا محيّراً كاللغز:

- إنها أحداث الحياة..

صمتت تنتظر أن يكمل متلهفة لو يكمل ما بدأ بقوله:

- ماتت أمي وأنا في السادسة عشرة فعشت ووالدي وحدنا مدة سنتين.. لم تكن حياة مريحة، ولكن كان لدينا قيثيان التي ترعانا. وعندما بلغت الثامنة عشرة التحقت بالخدمة العسكرية مدة سنتين.. ثم لمّا أنهيت خدمتي بعد سنتين انخرطت في الجيش سنتين أخريين.. فشعرت للمرة الأولى بطعم الحرية ولكن هذه الحرية أثرت في رأسي قليلاً.

- يحدث شيء كهذا عادة.

نظر إليها متفهماً:

- وهل حدث لك شيء كهذا أيضاً؟

هزت رأسها:

- أجل.. لكنني ندمت فيما بعد فقد مات والداي.

- وأنا ماتت أمّي أما والدي فبقي حياً.. وتزوج مجدداً مساعدة الإدارة في مدرسة الأولاد في «ڤيلبير».. لقد جاءت إلى هنا قبل أن أرحل. كانت شابة جميلة بل خلاّبة وكان كل الشبان يجرون وراءها بمن فيهم أنا. ولكن حين عدت إلى المنزل، وجدت أنها تزوجت أبي.. وهي التي أرادت ذلك المنزل.. اشتراه أبي لها فتحوّل هذا البيت إلى شقق صغيرة لزوار الصيف.. وأخذ معه اسم «ديودونيه» وترك لهذا المكان اسم «لافيرم دو ديودونيه» أي مزرعة هبة الله.

- وها هي تعيش في باريس مع أنها طلبت الانتقال إلى ذلك البيت.

هز كتفيه وهو يحضر الكوبين ويأخذ إبريق حليب من البراد..

رد: «ربما سئمت منه».

أطبق فمه بشدة وهو يصب القهوة، ثم انفرج وجهه عن ابتسامة وهو يفتح إبريق الحليب:

- الحليب يهدىء الأعصاب. سأضع منه القليل في قهوتك.. ستمر خمسة أو ستة أسابيع قبل أن ننتقل إلى هنا.. أخبريني أتعتقدين

أن ڤيڤيان ستحب مطبخها الجديد؟

كانت كيم الآن أكثر هدوءاً فحاولت التفكير في المطبخ.. لكنها لم تنجح.. فسيارتها المحطمة لا تبرح أفكارها.

ـ يجب أن تحبه.. إنه مصمم بشكل جيد.

عندما بدأت بالكلام خفّ تفكيرها في السيارة.. ربما من السهل إصلاحها.. على أي حال هي الآن ضيفة لوران، وهو يقوم بما في وسعه ليسليها على طريقته، ومن الفظاظة أن تستمر في الأسى على نكبتها.

قالت: «عندما ننهي قهوتنا وأكون قد تغلبت على نوبة بؤسي، هل لنا أن نلقي نظرة على سائر أرجاء المنزل؟».

نظرت إليه فإذا وجهه خال من الهم وكأنه عاد طفلاً صغيراً فعيناه أصبحتا غير حادتين ومن ابتسامته اندثر كل همّ.

ـ بكل سرور كيم.. كنت أنتظر أن تسأليني.

كانت القهوة ساخنة لذيذة الرائحة.. دفنت أنفها بامتنان في الكوب العميق وسمحت لنفسها لأول مرة منذ ثلاث سنوات بالتفكير في غير إدي. هذا الرجل قد يغار من زوجة أبيه كما تشك، ويبدو واضحاً مدى تعلقه بأمه.. أكان يغار من أبيه؟ لقد قال إنه كان يلاحق الفتاة وهذا يعني أنه مُني بصدمة عنيفة عندما عاد إلى المنزل فوجد الفتاة التي كان يحاول مصادقتها متزوجة بأبيه!

بدأت أفكارها تسيء الظن به فتخلت عنها وسألت:

ـ أهذا كل ما هو جاهز.. أعني في المنزل؟ أكل ما في المنزل جديد؟

عرض عليها المزيد من القهوة ولكنها رفضت:

ـ القليل منه جديد.. أنا أستخدم معظم الأثاث الأصلي الذي كان موضوعاً في سقيفة الغلال الكبيرة تحت قماش عازل لذا لم يصب بأذى كبير.. هذا المكان أعتق بكثير من المنزل الذي نعيش فيه حالياً.. لقد

كان هبة لرجل كان مستعداً للزواج بصديقة صغيرة لرجل مات منذ زمن بعيد وهو من عائلة «دوڤيلبير» وهي الأسرة الأرستقراطية في هذه المنطقة، إن أموراً كهذه تحصل عادة ويولد الطفل مع إرث مسبق.

ضحكت كيم وهي تلاحظ الجانب الساخر. وعلقت:

ـ ويسمون هذا «ديودونيه»؟ أي هبة الله؟

اتسعت ابتسامة لوران، ولم تعد معقدة:

ـ في تلك الأيام وقبل الثورة ظن أفراد أسرة «دوڤيلبير» أنفسهم.. آلهة!

تناول فنجان القهوة منها ثم وضع فنجانها وفنجانه في المغسلة:

ـ أتشعرين بالسعادة الآن كيم؟

ـ أجل.

سارت إلى جانبه تتطلع إلى ما كان يبدو أنه «الصالون».. سقف منخفض، جدران مكسو نصفها بالخشب، وفي الوسط موقد واسعة. عندما وصلا إلى استدارة الدرج الهلالية الشكل، توقفت:

ـ أنا لست حزينة حقاً.. وآسفة على الاحتجاج الصاخب الذي لا داعي له.. ولكن.. ما بدر مني مفهوم نظراً للظروف.. خططي كانت...

هز لوران رأسه ووضع يداً تحت مرفقها:

ـ يا لهذه الخطط!

حثها لتصعد الدرج وصولاً إلى رواق عريض يمر بكل المنزل. بعد قليل دفع باباً يفتحه:

ـ هذه هي غرفة النوم الرئيسية، كانت لوالداي.. طلبت من النجار أن يبدأ بتصليحها في الحال. أستطيع تدبر الأمر بدون «صالون» أو بدون أي غرفة في الأسفل، فكل ما أحتاجه هو المطبخ ومكان أنام فيه. وكما ترين لقد انتهى إصلاحها، وسنبدأ بغرفتي جان كلود وڤيڤيان في الغد.

www.mlazna.com

تجاوزته كيم إلى الغرفة التي كان حجمها جيداً فيها أثاث بسيط وسرير عال وليس هناك أوعية أو زجاجات على طاولة الزينة، بل ليس هناك دليل على ممتلكات إنسانية.. فتحت النافذة الخشبية فامتلأت الغرفة بأشعة الشمس.

تنسمت بقوة وإعجاب رائحة الطلاء الجديد.

ـ أجل.. إنها عائلية! كان لوالدي غرفة مثلها.. إنها غرفة عائلية لا غرفة معدة للعرض.

كان لوران خلفها. أحست به وبدفئه واشتمت رائحة عطره.. إنه قربها لكنها لا تستطيع أن تتحرك خاصة وهي تحس بيديه على كتفيها، تجذبانها إلى الخلف لتستند إليه.. لم يكد يلمسها مع ذلك أحست برجفة، وكادت تبكي بسبب هذا الضعف الذي لم تستطع أن تكبحه.

راح جزء منها يشرح لها بصمت: لقد مر زمن طويل.. طويل جداً.. ولكن هذا ليس أمراً جيداً، ففي السنتين المنصرمتين كان أمامها عدة فرص، وعدة عروض من رجال راغبين في مواساتها.. ولكنها لم تتوان عن الرفض.. فهي لا تفكر أبداً في علاقة دائمة مع شخص سوى إدي.. بالنسبة لهم «الحب» مجرد ليلة خالية من الحنان أو الالتزام.

وابتعدت عنه آلياً ولكن قلبها في هذا الوقت بكى، وتمتمت: «لا».

لف ذراعه حولها: «لا»؟

رفع وجهها بأصابعه الطويلة فرأت ابتسامته، وأحست بالنظارات تنتزع عن عينيها.. رأت في أعماق عينيه شرارات لهب صغيرة، تعد بكل ما افتقدت إليه منذ ثلاث سنوات.. الدفء والشغف والحب، وكانت كلها في أعماق عينيه الرماديتين.. هذا الرجل يعرف كل شيء ويقدر على فعل أي شيء بلا كلام.. يعرف كيف يحرك المشاعر.. فجأة وجدت نفسها واقفة وحدها لأنه أصبح بعيداً عنها مقدار ذراع ينظر إليها بسخرية.

ـ لم أشأ فرض نفسي عليك كيم.. ولا داعي لأن تتيبسي وكأنك لوح خشبي.

كانت ضحكتها مرتفعة أكثر من اللازم وهستيرية قليلاً:

ـ تفرض نفسك عليّ؟ يا لهذه الفكرة السخيفة! أعني.. ماذا يمكنك أن تفعل.. لي إرادتي..

برقت عيناه الرماديتان: «بالضبط».

خفق قلبها خفقات زائدة.. فهاتان العينان تعرفان كل شيء، فيهما عالم معرفة.. ولتنقذ نفسها ولتتمسك بصورة «المرأة العصرية» استخدمت أول كلمة خطرت ببالها:

ـ أرجوك.. لا تفسد هذا.. ما زلت غير متوازنة قليلاً.. بسبب الحادثة.. وكل شيء.. أشعر أنك تستعجل الأمور..

رفع حاجبه المقوس: «كم من الوقت تحتاجين؟»

فجأة أصبحت غير خائفة فالدفء ارتحل عنها وأصبحت باردة كالثلج، يملأ نفسها التحدي.. إذن الواضح أنه معتاد على الانتصار السهل وظنها واحدة منهن.. مع أنها حذرته.. ويجب أن يتعلم الدرس كما تعلمه غيره من الرجال.. ولكنها في هذه المرة لن تكون فظة وتنهي الأمر بسرعة بل ستكون قاسية. على لوران تريڤيل أن يتعلم بأصعب طريقة.. وتصاعدت الكلمات إلى لسانها لتتدفق بسهولة..

تمتمت: «أسبوعين تقريباً.. ما إن تصبح سيارتي جاهزة حتى تجدني على استعداد للتعامل مع أي شيء.. والآن هل لي أن أستعيد نظارتي.. أرجوك.. أحس أنني عارية بدونها.. وإذا كان لديك وقت فهل لي أن أرى المزيد من المزرعة؟ أنا أحب الحيوانات كثيراً خاصة منها الحيوانات الصغيرة..»

قال وفي صوته إعجاب وتردد:

ـ لدينا بضعة حملان.

ـ رائع..

كانت تتمايل أمامه بشكل مبالغ، لكن هذا أفضل من الوقوف ببلاهة تنتظر منه المبادرة.

أضافت: «طالما أحببت الحملان البيضاء الصوف، إنها حيوانات صغيرة حبيبة ذات قوائم صغيرة سخيفة.. إنها في غاية الجمال..».

ثم تجاوزته بثقة غامرة وخرجت من الغرفة..

***

٤ ـ التهديد الأخير

راح غيل ذو الشعر الأحمر والعينين الزرقاوين اللتين كانتا تومضان سخطاً الآن ينظر إلى خالته في المرآة غاضباً:

ـ لكنك وعدت!

وضعت كيم لوحة ألوان ظلال العيون من يدها وحاولت التفاهم معه:

ـ لم أذكر وقتاً محدداً غيل.. قلت إنني باقية حتى تجهز سيارتي.. وهاهي تكاد تنتهي.. لذا يجب أن أذهب.

ـ لكن أمي قالت إن عليّ..

وصمت.

رفعت كيم حاجبها:

ـ ماذا قالت..؟ ربما من الأفضل أن تخبرني بكل ما قالته أمك.. فقد يساعدني هذا في وضع الأمور في نصابها.

تمتم غصباً: «قالت لي على الهاتف إنها لا تريد منك أن تذهبي إلى آڤينيون.. وهذا ما قالته للوران أيضاً.. قالت إن علينا إبقاءك هنا أطول وقت ممكن.. كما قالت إنها لا تأبه بالسيارة وبإصلاحها فبإمكاننا إن أردنا أن نعود بالقطار.. لقد حاولت أنا وجان كلود التصرف بلطف أمامك».

قالت له بلطف: «إنما هذا تدخل في الحرية الشخصية».

ـ لكنك أمضيت وقتاً رائعاً، أليس كذلك؟ أنا وجان كلود عملنا

جاهدين للتخطيط، وقلت إنك استمتعت برؤية القصور. ولقد حضّرنا برنامجاً للأسبوع المقبل ولدى جان كلود فكرة ممتازة عن يوم..

- وما هي؟

ارتدت إلى المرآة لتعود إلى تزيين عينيها فهذه ليلة حفلة عيد ميلاد مارسيل وتريد أن تظهر بمظهر حسن. لقد تلاشى كل أثر للكدمة عن وجهها وأصبحت لا تخبئه خلف نظارتها الشمسية.. أما رغبتها في الظهور بمظهر حسن فأمر طبيعي تشعر به أية امرأة ذاهبة إلى حفلة.

رد غيل على سؤالها:

- يقول جان كلود إن لوران سيوافق على القيام برحلة في النهر إلى «سانت نازاير»، ويقول إن لديه مركباً عظيماً وكبيراً يستخدمانه لصيد السمك ولحمل الأشياء الثقيلة من وإلى «نانت»، كما يقول إن له محركاً وشراعاً، يستطيع الصعود عكس النهر بسرعة.

قالت كيم بصوت جاف: «سيكون هذا تغييراً عن زيارة القصور التي بدأت تتحول إلى أمر مزعج.. فهي تسبب ألماً في العنق بسبب النظر إلى فوق.. أنا فعلاً أحسست بألم في عنقي.. حسناً سأبقى فقط يومين».

أطل جان كلود من خلف:

- ألا تحبين القصور؟

قالت مستغربة وهي تضع الأزرق على جفنيها:

- أنت تتقن الإنكليزية جان كلود!

لم يخيب غيل أملها عندما قاطعها:

- بالطبع يتقنها.

وتورد وجهه بشدة ثم قال منوسلاً:

- لا تخبري أحداً كيم! يقول جان كلود إن الأمر كمن يمتلك أوراق لعب سرية لا يعرف بها أحد، يقول إن هذا قد يكون مفيداً في يوم ما.. ما أعنيه..

تبادل غيل وجان كلود النظرات ثم هز الصبي الصغير كتفيه مستسلماً قبل أن يهز رأسه على مضض.. فأردف غيل:

- لجان كلود مبرراته.. صدقاً كيم! أعني أنه أخبرني الكثير مما لا تعرفينه.

تنهدت كيم ثم راحت تمرر أحمر الشفاه على ثغرها:

- إذن لا تضف المزيد.. فمن الأفضل ألا أعرف.. هيا اذهبا من هنا.. سأرتدي ثيابي وفي هذه الأثناء تجمّلا.

ابتسم لها جان كلود جانبياً وقال بمكر:

- غيل جميل.

- كلاكما جميل.. هيا الآن اذهبا!

طالما بدا غيل رائعاً ولكنه بدا الليلة في ثوبه الاسكتلندي العزيز على قلبه أروع من ذي قبل.. كان الجوربان يخفيان نحول ساقيه والتنورة تخفي عظام ركبتيه.

حركت أنفها تجعده وهي تنظر إلى فستانها المحبوك الطويل الأبيض.. جلبته معها لتمضي أمسياتها في الفنادق، ولكنه لم يكن يبدو سيئاً جداً.. هو بسيط مستدير الياقة لا أكمام له ولا شك أنه سيبدو مقبولاً شرط ألا تقف أمام فستان من صنع «ديور».. وضعت سلسلة ذهبية رقيقة حول عنقها وقرطاً ذهبياً في أذنيها، ثم وقفت لتتأمل صورتها.

التقطت سترتها الخضراء متنهدة ثم نزلت إلى الصالون حيث ينتظرها لوران.. كان الجو بينهما بارداً منذ يوم المزرعة، على الأقل من جهة كيم.. ومع أنه رافقهم في سيارته زيارة إلى «شينون» و«ساومور» و «اوسي» إلا أنها كانت تركز اهتمامها على الصبيين. ولقد هنأت نفسها على هدوئها وتباعدها بغير عداء وهي بذلك وضعت لوران تريڤيل في مكانه الصحيح.

لكن المشكلة مع الرجل أنه رفض بكل صراحة أن يلتزم مكانه، إذ

www.mlazna.com

كان يصر على أن يكون ودوداً مرحاً ولا يتوانى متى وجد الفرصة عن إلقاء كلمات الغزل تلميحاً لا تصريحاً.. لا شيء يمكنها أن تكون متأكدة منه، لكنه شيء موجود في عينيه وفي استدارة فمه.. كالآن حين انتزع السترة الخضراء من يدها وألقى وشاحاً من الصوف الأبيض على كتفيها.

ارتفعت يدها لتبعد الوشاح فقال:

ـ لا.. دعيه.. إنه هدية من ڤيڤيان ولا أظنك ترغبين في جرح مشاعرها.. أليس كذلك؟

تمتمت: هذا لطف كبير منها.. لا يمكنني في الواقع قبول شيء جميل كهذا.

رفع حاجبه:

ـ لماذا ترفضين؟ فڤيڤيان تحوك أشياء كهذه في أوقات فراغها، ولديها درج مليء بها.. فإذا رفضته جرحت مشاعرها. أتشربين شيئاً قبل أن نغادر؟

ـ لا.. شكراً.

لم يبدُ لها أن عندها ما تقوله فجلست على الأريكة غير المريحة ولكنها كانت تدرك أن عدم شعورها بالراحة غير عائد فقط إلى المقعد القاسي.. كان فمها جافاً بحيث لم تستطع أن تقول شيئاً.. لعقت شفتيها متمنية لو يسرع غيل وجان كلود قليلاً.. أخيراً قالت بطريقة شبه مفهومة:

ـ ما الذي يؤخر غيل وجان كلود؟ كانا جاهزين حين رأيتهما.

ـ مسألة ترتيب صغيرة. لقد ألقيت نظرة على حمامهما وغرفة نومهما قبل أن أنزل وأعدتهما إلى هناك لتنظيف الفوضى التي خلفاها وراءهما.

تذكرت شقيقتها فقالت تقلدها:

ـ كل الصبيان غير مرتبين.. لو ناديتني لقمت بالترتيب اللازم.

ـ ليس كل الصبيان فوضويين.. وإذا كان أحدهم هكذا فلأن هناك امرأة أفسدته بدلالها.. فجان كلود لا يترك الحمام بتلك الحالة. ثياب متسخة ومناشف مبللة منتشرة على الأرض وصابون يذوب في بحيرة ماء.. لا امرأة هنا تنظف من ورائهما وترتب الفوضى..

تلاشى الإحساس بضيق الصدر من الغرفة وكأن ريحاً قوية نفخت به.. فردت كيم بحدة:

ـ أعتقد أنك تضع اللوم في هذا على غيل؟ ربما سيكون من الأفضل حالما تجهز سيارتي أن آخذه معي.. فأنا واثقة أن أمه ترفض أن يبقى في مكان يتعلم منه أحد عادات سيئة.

رد ساخراً: «لا تكوني حمقاء كيم.. لا تنبري للدفاع عن كرامتك لمجرد انتقادي.. ولا تضعي اللوم كله على غيل.. فليس جان كلود بحاجة لمن يضلله، فلديه من العادات السيئة ما يكفي ويزيد وأنا منذ مدة أحاول أن أشفيه منها».

انتقمت منه برقة وحقد:

ـ لهذا على ما أرى علاقة بتدريبك العسكري.. ما كانت رتبتك؟ رقيب أول؟

بدأ يضحك عليها:

ـ لا..! لكن لا فرق كبير بين صبي وفتاة في مثل عمر غيل وجان كلود.. فلماذا تتوقعين من الفتاة أن تكون مرتبة وتتركين الصبي ينفد بجريمته؟ لقد افتعلا الفوضى وليس لدينا من ينظف ما خرباه إلا امرأة متوسطة العمر.. إذن عليهما القيام بالترتيب حتى يتعلما عدم افتعال الفوضى من جديد.

وهذا ما قالته دائماً لجيني، ولكنها لم تكن يوماً ممن يتقبل النصيحة وكان ردها دائماً هو نفسه: لا تفتعلي ضجة على أمر تافه صغير. فما هي إلا ثوان حتى أرتب كل شيء.. الصبيان صبيان..

استقامت كيم في مقعدها وأخذت تنظر إلى لوران.. في الأيام

الثلاثة المنصرمة توصلت إلى استنتاج لا مفر منه. يجب ألا يكون هناك نقطة اتصال حقيقية واحدة بينها وبين هذا الرجل وإلا تدمرت كلياً.. لقد عاشت ثلاث سنوات من الترمل بعزل نفسها والعيش على الذكريات وكانت آمنة في عزلتها تلك. بل كيف لها أن تفكر في غير إدي وذكراه لا تزال واضحة المعالم؟ لكن لوران مختلف.. قد تعيش أوقاتاً سعيدة.. ولكنها لن تترك نفسها لهذا لأنها بالنسبة له لن تكون أكثر من مجرد مغامرة عابرة.. وهذه إهانة لذكرى إدي وهي إلى ذلك شيء رخيص لن تتمكن من معايشته.

قالت ببرود: «هذا ما يجب أن نختلف عليه.. غيل وجان كلود في عطلة، لذا لا أرى سبباً يمنعهما من الاستمتاع قليلاً بعيداً عن القوانين والأنظمة التي لم يضطر غيل قط للخضوع لها لأن شقيقتي أم متفهمة.. نعم هي حازمة إنما في الأمور المهمة فقط.. أفهم الصعوبة التي تواجهها وسأتكلم مع غيل.. ولكنني أعتقد أن أفضل عمل عاقل قد أقوم به هو اصطحابه معي حينما أرجع إلى آفينيون.

بدا لوران وكأنه بدأ يفقد أعصابه:

ـ لا تكوني حمقاء كيم! أنت تفتعلين من الحبة قبة.. وتفعلين هذا عامدة متعمدة لسبب في نفسك.

ردت عليه بحدة:

ـ لا، ليس لدي أي سبب.. لكنني لا أريد أن أترك ابن أخي في مكان قد لا يكون سعيداً فيه.

ـ لماذا لا تسأليه إذن؟ إنهما قادمان فأنا أسمع أصواتهما وهذه فرصتك.. أعط الصبي مجالاً للاختيار الحر.. وأنا أعرف ماذا سيكون رده.

هذه هي المشكلة لأنها تعرف.. فهو سيتمسك بأظافره وأسنانه ليبقى هنا مع جان كلود.. وسيقبل النظام المفروض عليه بلا تذمر لأنه معجب بالرجل.. أما هي فمجرد خالة غريبة الأطوار وفي رأسها مس!

كرر سؤاله: «ألا تعرفين الرد؟»

ـ أجل.. فكل جياد العالم الجامحة لن تجره معي.. إنه يقضي وقتاً رائعاً.. وبعد التأثير الذي سيفرضه الليلة بلباسه «الهايلاندر» الاسكتلندي..

ابتسم لوران لها ابتسامة فاتنة دافئة:

ـ بالضبط.

ولعنت نفسها على سهولة إرضائها.

قال غيل مؤنباً:

ـ سنتأخر.. خلتكما في السيارة تنتظران.

لتغطية اللحظة الحرجة أمسكت كيم أذنه وتمتمت بسؤال هزلي معروف:

ـ أرجو أن تكون مرتدياً سروالك تحت التنورة!

ضحك غيل، فلقد سمع السؤال أكثر من مرة ليزعجه:

ـ بالطبع أيتها السخيفة! مع أن هذا غير ضروري.. حقاً! جان كلود يريد ثوباً مثله.. هل نستطيع تأمين ثوب له عندما يأتي لقضاء عطلة الميلاد..!

همست: «بالتأكيد نستطيع، اترك الأمر لأمك».

تأوهت كيم يأساً وهم يقتربون من غرفة الطعام في الفندق.. من الباب رأت الموائد مصفوفة على شكل حدوة حصان وكلها مدثرة بأغطية بيضاء كالثلج، فوقها الزجاج والفضيات. وكان الطبيب ومارسيل واقفين عند الباب لاستقبال الضيوف.. لقد أملت بالتسلل إلى الداخل بدون أن يلحظها أحد ولكن ذلك الأمل سرعان ما انتحر. فجماعة «ديودونيه» كانت من بين آخر الواصلين وإذا كل العيون منصبة عليهم.

همست للوران وهي تخفي ابتسامة:

ـ لقد رتبت كل هذا.. أليس كذلك؟ فوضى في الحمام.. حقاً!

إنه تكتيك للتأخير!

أحست بيد الطبيب المترهلة تمسك يدها وراقبته يلثمها ولكنها خفية كانت تختلس النظر إلى مارسيل في ثوب أوركانزا أبيض ذي حزام جادي.

مرر الطبيب كيم إلى ابنته التي حيتها بفتنة ولكن الوميض الشرير كان ظاهراً في عينيها الخضراوين.. وبطريقة ما أفاد ذلك الوميض كيم وجعلها قادرة على دس الهدية التي تضم بين جنباتها منديلاً من الشوفين الأخضر في يد الفتاة وتمنت لها أعياد ميلاد عديدة وسعيدة.

وضع لوران يده تحت مرفقها واقتادها نحو الموائد ثم تمتم في أذنها وهو يتناول بطاقة صغيرة تحمل اسم جان كلود قبل أن يتوجه بسرعة إلى حيث كان شقيقه وغيل غارقين في الحديث، وأخذ البطاقة من يد غيل وعاد ليضع البطاقتين إلى جانب مقعده..

قال مبتسماً: سيكون جان كلود أسعد حالاً مع غيل، أليس هذا رأيك أيضاً؟

لم تستطع مقاومة ابتسامته:

- أستغرب كيف تدعى إلى أي مكان وأنت تسخر من ترتيبات الناس! مع أنني لم أشاهد مثل هذا الترتيب من قبل في فرنسا، ظننت أن الإنكليز والأميركيين وحدهم يلجؤون إلى تحديد الأماكن.

- أوه.. نحن منظمون مثلهم.. إنما ليس في حفلة كهذه فيها العمات والخالات والأعمام وأبنائهم.

برقت عيناها: «وهذا ما قد يضعك في صف الأصدقاء».

ابتسم وقال: «قلت لك إنني بحاجة إلى الحماية.. ولست أهتم بأية بطاقة بيضاء قد تملي عليّ قيداً. هل شاركت في الكثير من الحفلات وأنت في فرنسا؟»

ضحك على دهشتها:

- أجل كيم.. أعرف التقاليد.. ما دمت تعلمين الفرنسية فهذا

يعني قضاء سنة هنا في أحد المدارس كمساعدة مدرّسة.. أين كنت؟

- في «ليسيه دانيال فورتين» في «بورجي». كنت أنام مع سيدتين عجوزين محبوبتين.. فكان أن التقطت منهن لكنة صنفتني كمواطنة بورجية.. لكن هذا كان منذ خمس سنوات وقبل أن أتزوج.. والأزمنة تتغير.. كانت السيدتان رسميتين ورقيقتين مع أنهما أختان لم أسمعهما قط تتناديان إلا بلقب مدام.

- هذا أمر شائع بين الجبل القديم فمن الصعب أن تموت العادات القديمة خاصة في المناطق الريفية حيث عدد السكان قليل.. أترين هذه الهدايا؟ إنها على الأرجح تحتوي على الكتان.. لتوضع في..

وصمت فسارعت تتم الجملة التي أملت أن يفهمها:

- في درج المدموزيل دي موروه السفلي؟ إن هذا غير مثير..! أعرف ما قد أقوله إن أهداني أحدهم زوجاً من أكياس الوسائد.. في عيد ميلادي السابع عشر!

الحديث مع لوران هكذا أمر سهل، وكم تمنت لو يبقى حديثهما على هذا المنوال طوال الأمسية.. أكلت القليل من الطعام الممتاز وشربت كوب عصير جعلته يدوم طوال وقت الوجبة.. وفيما بعد عندما اتجه الجميع إلى قاعة الرقص التصق لوران بحزم بها مع أنها حاولت إبعاده.

قالت معترضة: لست مضطراً للالتصاق بي هكذا.. آنستك ترقص مع والدها، وأنت آمن.

تمتم: «حتى تتوقف الموسيقى فقط.. بعد ذلك ستختار شريكها بنفسها..»

دس يده تحت مرفقها وأوقفها:

- هكذا.. سنتأكد من عدم الاقتراب صوبي. ألا تقدرين على التظاهر بأنك تستمتعين؟ على وجهك نظرة من يضحي في سبيل الآخرين.

www.alaza.com

رسمت ابتسامة جافة على فمها واندست بين ذراعيه:

ـ سنحذو حذوي بعد وقت قصير لأنني لم أرقص منذ سنوات وفقدت مهارتي.. وإذا كنت تقدر قيمة أصابع قدميك.. فأبقِ قدميك حيث لا أستطيع الدوس عليها.

تشنج جسمها ما إن ضمها إليه فقال: «استرخي».

أحست رغم الثياب التي يرتديها بعضلاته المفتولة وقوتهما.. كان تقاربهما هذا عذاباً بالنسبة لها.. فمشاعرها بدأت تنهض. وقلة الكلام بينهما زادت من تأثير تلك المشاعر وها هي تفعل المستحيل لئلا تنتزع نفسها منه لتجري هاربة صارخة إلى خارج الغرفة.. الشيء الوحيد الذي كان لديها البدء بحديث:

ـ أعتقد أن عليّ استغلال ما تبقى من إقامتي هنا في التدرب على التحدث بالفرنسية. الغريب أن التعامل مع الكلمة المكتوبة يجعل المرء غبياً.. مع وجود قاموس دائم في متناول اليد يصبح الإنسان كسولاً..

ـ جربي معي.. إن لم تستطيعي التفكير في ما تقولينه فكرري من ورائي: شكراً لأنك اصطحبتني إلى هذه الحفلة..

قاطعته: «لا.. لن أشكرك لهذا إذ لم أكن راغبة في المجيء.. أتذكر؟ لا أحد يريدني هنا وعلى الأخص الفتاة المحتفلة بعيد ميلادها، قد تناسبك هذه الحفلة كنوع من الستار الدخاني ولكنها لا تناسبني.. أنا لا أحب الخداع.. أوه يا إلهي.. ماذا فعلنا الآن؟ الجميع ينظر إلينا!»

رد بهدوء مثير للسخط:

ـ لقد توقفت الموسيقى.. وكنا غارقين في الحديث فلم نلاحظ هذا..

ـ والآنسة دي موروه تتجه إلى هنا ونيران المعركة في عينيها، وأظنني سأسلمك إلى رحمتها.

ابتسم: وهذا ما سيتركك عالقة مع الطبيب، ولن أسمح بهذا.. إنه يتقدم في العمر، وستجلبين له الضغط ولهذا السبب.. ستخرج إلى الخارج لنهدأ قليلاً.

نظرت كيم من الأبواب الزجاجية العريضة إلى مساحة معشوشبة تنخفض تدريجياً حتى النهر. إنه النهر الذي يصب في اللوار، والذي قطعته وهي في طريقها من «ديودونيه» إلى المزرعة. بدت لها شجيرات شائكة، وأشجار باسقة، وأزهار أصبحت فضية بفعل ضوء القمر.. ارتجفت خوفاً من أن تصبح بمفردها معه في الخارج.. إنه في غاية الجاذبية والسحر.

أجابت باتزان:

ـ لا.. لديك واجبات رقص، فلماذا لا تنتهي منها في أسرع وقت ممكن؟.. أما الطبيب فسأوفر عليه ارتفاع ضغط دمه وأنضم إلى غيل وجان كلود.. أراهما سعيدين.

ابتسمت ابتسامة جميلة ثم تركت قاعة الرقص وتوجهت إلى حيث الولدان.. أعطاها غيل علبة كولا، وأبعد نفسه عن فتاة حلوة في الثامنة من عمرها كانت متعلقة به، وابتسم لكيم بطريقته غير المعقدة.

ـ حفل رائع أليس كذلك؟ أو قد يكون رائعاً لولا الأولاد.

تسللت الطفلة إليه مجدداً فانتزع تنورته من أصابعها مجدداً:

ـ أنا أستمتع بوقتي.

ـ ماذا عن جان كلود؟

كان الصبي الفرنسي قد توقف عن الرقص، وجلس في كرسي بارز على الراقصين الكبار.. بدا يشبه أخاه ولكن على وجهه الملائكي الصغير شيء من خيبة الأمل فنظر غيل إلى صديقه.

ـ أوه.. سيكون على ما يرام.. إنها السبب!

أشار برأسه إلى حيث كان لوران يراقص مارسيل، وأكمل:

طوق الياسمين

ـ إنها تخيفه.. قالت له إن عليه حين تتزوج لوران أن يعود إلى باريس، ليعيش مع أمه.. ولكنني قلت له إن عليه ألا يكون جباناً هكذا.. وأظنه قلقاً بشأن عيد الميلاد إذ يقول إن أمه لن تسمح له بالسفر إلى انكلترا.

استوعبت كيم المعلومات.. علامة سوداء أخرى ضد لوران.. مع أنها كانت تميل إلى تبرئته.. فهو على الأرجح لا يعرف شيئاً عن هذا.. شربت الكولا ومازحت غيل.. ثم سرعان ما جذبت جان كلود إلى الحديث حتى اطمأن وجهه وارتحلت نظرة الأسى عن عينيه السوداوين.

قال لوران من ورائها:

ـ هل لي بهذه الرقصة كيم؟

للحظة لم تفهم.. كانت غارقة بأفكارها.. فالتفتت إليه.. لكنها ظلت على حالها لم تفهم ما قال، فكرر بإصرار:

ـ هذه الرقصة؟

تمكنت ببطء من العودة إلى الحاضر فهبت على قدميها.

ـ أوه.. أجل.

إنها هنا كدرع ورادع.. ابتسمت لنفسها وهي ترى عيني مارسيل تلاحقانهما إلى حلبة الرقص، وهمست له:

ـ أنت تشدني إليك كثيراً.

رد بوقار: «أعطي الانطباع المناسب».

عارضته: «بل الانطباع الخاطىء. إذ لا أنوي الرحيل من هنا وسمعتي ممزقة.. وهذا ما سيحدث بالضبط إن دأبت على هذه الممارسة. في الحفلة نساء عديدات فلماذا لا تختار منهن واحدة للرقصة التالية.. أفضل البقاء مع غيل وجان كلود لأنني لا أراهما يمرحان كثيراً.

لم يعر لهجتها المتكبرة اذناً، بل شدها إليه أكثر حتى كادت تصيح

سخطاً.. ما إن توقفت الموسيقى حتى جذبت نفسها من بين ذراعيه وقالت هامسة ولكن بغضب:

ـ جد لنفسك شريكة أخرى. سأذهب إلى غرفة السيدات.

وشقت طريقها عبر الراقصين، وغلالة غضب حمراء تطفو أمام عينيها.

كانت غرفة السيدات ملاذاً بارداً وهادئاً.. أدارت كيم المياه الباردة في إحدى المغاسل، تاركة إياها تبرد معصميها.. بعد لحظات بدأت تستعيد سيطرتها على ذاتها وهدأت. إنها تلعب هذه اللعبة بشكل خاطىء.. ألم تقرر أن تتصرف بخفة ومرح؟ لماذا تهتم بآراء الآخرين؟ عما قريب ستسافر، ولن ترى هذا المكان أو النـــاس مجدداً. ولكنها ستعود في زيارة واحدة سريعة لتصطحب غيل معهـــا إلى انكلترا.. بدأت تخطط لتلك الزيارة: ستكون زيارة خاطفة.. ستقود سيارتها من «بروڤينس» وتبقى في فندق في «نورث» ليلة واحـــدة، ثم تأتي إلى هنا في الصباح.. ولأنها ستعود إلى لوهافر في اليـــوم ذاته للحاق بالعبارة الأخيرة، لن يكون أمامها الوقت لأي شيء أكثـــر من قول «مرحباً» و «وداعاً».. أشعرتها هذه الفكرة بالهـــدوء فاتجهت إلى الطاولة حيث جلست إلى كرسي، وبدأت تصلـــح زينتها أمام المرآة.

ـ إذن.. لقد جئت إلى حفلتي وجعلت نفسك فرجة للعيان.

ارتج أحمر الشفاه بين أصابعها فلطخ وجهها.. التفتت إلى صورة مارسيل في المرآة أمامها.. كانت الفتاة غاضبة وخائبة الأمل، وعيناها تبرقان ووجهها خال من اللون. كانت غاضبة غضباً جعلها لا تتكلم الإنكليزية، ووجدت كيم أنها لا تأبه إذا أعاقتها فرنسيتها قليلاً، فالفتاة التي أمامها مدللة تظن نفسها «سيدة» ناضجة ولهذا تستحق أن توقف عند حدها.

أخرجت منديلاً ورقياً من حقيبتها ومسحت البقعة عن خدها..

www.mlazna.com

وقالت ببرود:

ـ عذراً مدموزيل.. لا بد أنك ظننتني شخصاً آخر؟

مالت الفتاة إليها أكثر حتى أصبح وجهها فوق كتف كيم:

ـ أنا أكلمك أنت مدام.. لا مجال للخطأ في هذا.. لقد أفسدت عليّ حفلتي! وأريد منك أن تغادريها فوراً.

ردت كيم ببرود: «إذن عليك أن تطلبي من السيد تريڤيل المغادرة كذلك.. لأنني لا أنوي السير خمسة كيلو مترات إلى ديودونيه..»

ومدت قدمها لتجذب الاهتمام إلى كعبها العالي.. بعد ذلك رفعت عينيها إلى المرآة، وراحت تراقب تعابير وجه الفتاة المتقلبة ما بين الخيبة والسخط.. وتمتمت بأفضل ما لديها من وقار معلمة المدرسة:

ـ الأمر ليس سهلاً.. أليس كذلك؟

لكنها لم تكن باردة أو غير مهتمة.. إنها لا تحب جرح مشاعر الناس.. على الأقل هذه الفتاة الصغيرة.. لا تريد أن تؤلمها.. لكن ماذا بإمكانها أن تفعل غير هذا؟

ـ لقد اصطحبني السيد تريڤيل إلى هنا هذا المساء.. وأظنه رجلاً خلوقاً. فإن فعلت ما تقترحين وغادرت غادر هو أيضاً بالتأكيد.

قالت الفتاة بتحد يثير الشفقة:

ـ الليلة.. الليلة سيطلب مني لوران الزواج، فنحن متفقان على كل شيء.

ـ إذن يجب أن أبقى.. لا يمكنه أن يتم هذا الخطوبة إن أعادني إلى «ديودونيه».. ثم سأكون أول من يتمنى لكما السعادة..

وأعادت اهتمامها إلى إصلاح أحمر الشفاه وأدهشها أن تجد يدها ثابتة.

أخذت مارسيل ترتجف غضباً:

ـ لن نحتاج إلى تمنياتك.. مدام! بل لن نحتاج إلى امرأة من

صنفك.. لقد انتهى لوران من هذا الصنف وسيحصل عليّ.. آه! أعرف ما أنت عليه ولكنني لن أدعك تفسدين عليّ الأمور.. ستغادرين «ديودونيه». يجب أن تنفذي ما قلته لك وترحلي.. أرى أنك تتوقعين منه أن يتزوجك.. لذا سأرتب الأمور بشكل لن يعجبك أبداً، وعندئذ ستتمنين لو أنك لم تأتي إلى هنا أبداً!

ثم هرعت إلى قاعة الرقص كعاصفة صغيرة.

لحقت كيم بها ببطء ولكنها كانت تنتفض من الجهد الذي تمارسه لتسيطر على غضبها. راحت تفكر كيف يجرؤ على تركها عرضة لهذا النوع من التصرف المشين؟ أما تهديد مارسيل الأخير لها فهو لا يشغل بالها أبداً، بل تعتبره مجرد قول أرعن من طفلة صغيرة..

قالت الفتاة «امرأة من صنفك».. هي.. كيم روبرتس توضع في خانة واحدة مع نساء لوران.. ولا تحتاج إلى إيضاح لتفهم أي صنف من النساء هن.

خرجت من أحلامها لتجد لوران قربها وهو يقول:

ـ أتمانعين كيم إن غادرنا الآن.. لا أدري أكان السبب التعب أم السأم، فجان كلود نائم.. ومن الأفضل أن نعيده إلى المنزل.

تدخل غيل:

ـ لقد أحس بالغثيان وكنا نبحث عنكما.

صاحت: «هذا ما ينقصني! لا..».

ارتدت تنظر إلى لوران وعيناها تحترقان غضباً:

ـ سمعت أن عندك التزاماً تفي به الليلة.. فإن رغبت في البقاء هنا أقُد أنا سيارتك والواقع أنني أريد الخروج من هنا حالاً.. ثم.. ثم.. جد من يقلك عندما تريد العودة وإن لم تجد أحداً يقلك فاذهب سيراً على قدميك فأنت راشد وقوي.

رفع حاجبيه.. والتوت شفتاه بابتسامة كئيبة:

ـ التزام؟ أرى أن مارسيل كانت تتكلم.. لكنني قلت لك.. أنا لا

أفكر في شيء كهذا.

وصل صبر كيم إلى الذروة:

ـ قل لها هذا إذن! فهي التي اختلطت عليها الأمور لا أنا.

* * *

٥ ـ غرقت في عينيه

أمضت كيم ليلة غير مريحة، وكم تمنت فيها لو أنها لم تولد.. فما زال البؤس القاسي الذي لاح في عيني مارسيل عندما أعلنا عزمهما على الرحيل يلاحقها.. لكن الحقد الشرير الذي حل مكانه كان أسوأ منه. لقد وعدت عينا الفتاة بانتصار شرير جعل كيم تشعر بالغثيان وبحدوث كارثة وشيكة. حاولت أن تصرف عنها الفكرة، لكنها لونت أحلامها حتى أصبحت كابوساً خيالياً أصيب فيه غيل بالأذى، وهرب جان كلود، ووقف ألف عائق وعائق في طريقها إلى «آفينيون» أما لوران فجلس يضحك عليها كالشيطان.

نزلت إلى المطبخ وقت الفطور ولكنها لم تتناول شيئاً بل اكتفت باحتساء كوب قهوة ثم انسحبت إلى غرفتها مع أنها لم تكن تخشى مواجهة لوران. فاليوم هو الأحد، وفي الآحاد يتولى إدارة مزرعة الحليب بنفسه ليعطي العاملين فيها فرصتهم الصباحية.. ولكنها لم تكن تشعر برغبة في الكلام مع أحد لذا استشاطت غيظاً حين جاء غيل وجان كلود إلى غرفتها..

قالت ساخطة: أريد تمضية صباح هادىء.

هز غيل رأسه، وحذا جان كلود حذوه:

ـ لا بأس في هذا.. إنما جئنا لنقول لك إننا سنتناول الغداء باكراً لأننا ذاهبان جميعاً إلى «شينانو» وإلى «شومون».. قصران في يوم واحد كما يقول الدليل.. ولهما علاقة بسيدة تدعى «دايان دو بواتييه»

www.mazna.com

كانت تعيش فيهما معاً. . لذا لا يجب أن نتأخر في الانطلاق وإلا فاننا عرض «الصوت والضوء».

سألته ببرود: «ألا ترى أنني شاهدت ما يكفي من قصور؟»

غضب غيل:

ـ ما يكفي؟ بالتأكيد لا. إذ اليوم عددها خمسة قصور، وهناك دزينات منها. . سأرتدي ملابسي الاسكتلندية لأنني أريد منك أن تلتقطي لي الكثير من الصور. . يجب أن يكون لدي ما أريه لرفاقي في المدرسة، وإلا ما صدقوني.

ـ إذن أخرجا من هنا حتى أجد ما أرتديه. . أعتقد أن الجينز والقميص غير نافعين.

أصيب غيل بصدمة: «بالتأكيد غير نافعين، فاليوم هو الأحد».

ألقت كيم نظرة إلى خزانة ملابسها. . غيل محق، فهذا يوم أحد، وهذا يعني أنها هنا منذ أسبوع ومع ذلك تحس أنها لم تعرف مكاناً آخر غيره. . نضح جبينها بالعرق لمجرد التفكير في البقاء هنا أسبوعاً آخر! قررت أخيراً ارتداء بلوزة وردية مخططة وتنورة بيضاء مثناة.

كان اليوم مرهقاً. . أولاً كانت زيارة قصر «شينانو» الجميل ذي القناطر البيضاء القابع فوق نهر شير، ثم قصر «شومون» الرمادي المتجهم، حيث نفيت دايان دو بواتييه بعدما مات صاحبها «هنري الثاني»، ثم التوقف ليلاً في «آزاي لو ريدو» لمشاهدة عرض الصوت والضوء. . تلك الليلة تهاوت كيم فوق الفراش ونزلت إلى الفطور في الصباح التالي وفي رأسها حل واحد.

اختطفت لائحة غيل المدون عليها المزيد من الأماكن الأثرية ومزقتها إرباً، ووضعت القطع في قصعة طعامه.

ـ لا مزيد من القصور! اصنع لنفسك لائحة أخرى فأنا اكتفيت، ولكنني لن أذهب اليوم إلى أي مكان. أنا متعبة!

حلّ جان كلود الذي أصبح الآن أكثر جرأة مسألة إبقاء صديقه

وخالته سعيدين.

ـ نستطيع الذهاب إلى مطحنة صغيرة بعد الغداء. . هناك «قصر» لا يبعد سوى القليل عن هنا. إنه ليس «قصراً» حقيقياً بل مجرد خرائب قديمة، ولكنه مكان جيد للنزهة وللعب. كنت أذهب إليه منذ زمن طويل وهناك كنت أتظاهر بأنني أدافع عنه ضد الأعداء.

بدت الراحة على كيم:

ـ أواثق أنت من هذا جان كلود؟ لن يكون فيه أميال من الممرات التي تؤلم قدماي، ولا غرف مليئة بأثاث أثري، ولا سقوف مرسومة تسبب لي تصلباً في عنقي من النظر إليها؟

أكد جان كلود لها:

ـ ليس هناك غير بضع قطع من جدران قديمة مغطاة الآن بالعشب المتعالي. أظن أنه سيعجبك.

ضحكت للصبيين:

ـ إذن سنذهب إلى هناك. أين هو لوران لنخبره بالخطة الجديدة وبعدم الحاجة إلى اصطحابنا إلى «ڤيلاندري» بالسيارة؟

رد الولدان معاً، أحدهما بالفرنسية والآخر بالإنكليزية:

ـ إنه في المزرعة.

وتابع غيل:

ـ إنه يفعل شيئاً مع عامل التمديدات الصحية وسخانات التدفئة المركزية، لكنه قال إنه لن يتأخر.

فكرت في لوران وعلى ما يبدو أنها تفكر فيه كثيراً في هذه الأيام، فهي تشك في ما يقصده حين يقول شيئاً وتفتش عن معان مستترة. ولكن كان يجب أن تعترف أنه بالأمس كان أفضل بكثير. . لقد عاملها بود ولم يحاول مغازلتها، وكأنه بعد اعتقاده بأن مسألة مارسيل قد سويت لم يعد بحاجة إلى درع. وكم تتمنى أن تكون بعيدة في الطريق إلى «آڤينيون» قبل أن تستعيد مارسيل أنفاسها.

أرسلت كيم الولدين ليلعبا في الخارج، وقبل ذلك أمرتهما بارتداء ثياب النزهة قبل الغداء، ثم اتجهت إلى غرفتها الواقعة في الطابق العلوي. ولكن لوران كان بانتظارها.

ـ صباح الخير كيم.. هل نمت جيداً؟

ردت ببرود: «أجل.. شكراً لك، سنذهب إلى مكان قديم قرب المطحنة بعد الغداء.. يقول جان كلود إنه غير بعيد.. فهل هناك ما يكفي من الدراجات الهوائية لنا؟ أنا بحاجة إلى هواء نقي».

ـ هناك ما يكفي.. وأنا أوافقك الرأي لأن التغيير سيكون لطيفاً.. وغير ممل.

ـ أكنت تستمع إلينا؟

ابتسم: لا.. بل كنت أراقب وجهك في عرض الصوت والضوء.. وجهك معبر حين تعتقدين أنك غير مراقبة.

ـ هذا مجرد ظن.

وأسرعت ترتقي الدرج فناداها عابساً:

ـ ما قصدك بهذا؟

وقفت تنظر إليه من علو، ومدت له لسانها:

ـ فكر في الأمر! ولكنني لا أنصحك باستخدام القاموس!

راقبت كيم الولدين يقفزان أمامها مع سلة الطعام، بعدما أوقفا الدراجات عند شجرات صغيرة إلى جانب الطريق، أما هي فبدأت ولوران بتسلق الممر الضيق المتلوي بين شجيرات الكرمة المزروعة في مدرجات.. كانت الشمس حارة والممر شديد الارتفاع وكانت تشعر بالتعب. لف لوران ذراعه حول خصرها وبدأ يشدها إلى فوق وهو يشرح.

ـ هذه الكرمة هي السلالة المباشرة للكرمة الأصلية التي زرعت في القرن الرابع عشر.. حاولنا زرعها في مكان آخر ولكنها لم تنمُ.. هنا تزهر وتنتمي.. وهي نوع مختلف عن العنب الذي نربيه على الأرض

التي نملكها في مكان أبعد من النهر بقليل. لكن عنب هذه المنطقة مميز عنها ونتركه لاستخدامنا الخاص، لكنه لا ينتج كميات كبيرة.

جلست كيم متهالكة على المرجة الصغيرة التي تغطي قمة التل، ومدت يدها إلى صندوق التبريد تأخذ علبة مرطبات..

تمتمت: «ما أشد عطشي.. أكان هذا قصراً في يوم ما؟»

ـ كان حصناً ومكاناً غير مريح إطلاقاً على ما أتصور.. ولا أثر فيه لبئر.. فيما بعد حين استقرت الأمور، بنت عائلة «دو ڤيلبير» منزلاً مريحاً.. لقد شاهدته في البلدة.. إنه الآن فندق دوڤيل في بلدة ڤيلبير.

ـ كانوا جميعهم مرشحين للمقصلة على ما أعتقد؟

ضحك لوران:

ـ ليس الجميع.. كان للعائلة آذان صاغية وهربوا إلى إيطاليا قبل «عهد الرعب» ولم يعودوا إلا بعدما أصدر نابولبون عفواً عن كل من يخدم في الجيش، ولكنهم لم يستطيعوا استعادة قصرهم لأنه أصبح ملكاً للدولة. بيد أنهم مُنحوا أرضاً بنوا فيها قصراً صغيراً.

أتمّت عنه القصة:

ـ وعاشوا في سعادة حتى ماتت العائلة..

هز رأسه: «آه هه.. ما هذه القصة خيالية كيم.. كان أفراد أسرة «دو ڤيلبير» جنوداً أشداء ولكنهم كانوا مزارعين فاشلين.. وما إن سقط نابوليون حتى خسروا كل شيء تقريباً.. ولكنهم قاوموا الدمار على طريقتهم.. حين تولى نابولون الثالث الحكم عاد رجال «دو ڤيلبير» رجالاً عظماء في الحكومة فباعوا أرضهم وأصبح منزلهم «منزل عطلة» لكن مع نهاية الحرب العالمية الأولى هجر الجميع المنزل لذا عندما اشتراه والدي كان في حالة سيئة إذ لم يكن قد عاش فيه أحد منذ سنوات طويلة، فالسقف يرشح والجص يتساقط عن الجدران والنوافذ مكسورة والخشب مهترىء والمكان كله رطب مليء بالفئران والجرذان.. وكان

يجب أن يهدم.

ابتلعت كيم شرابها بعطش:

- إن إعادته إلى طبيعته كان عملاً شاقاً.

- وكثير الكلفة.. كلفنا إصلاحه وإعادة تأثيثه ثروة. وهو الآن يكلف ثروة أخرى للمحافظة عليه.. فإبقاؤه دافئاً جافاً في الشتاء يلزمه نصف أرباح المزرعة، ولهذا السبب سنتركه.

مد يده يلمس بإصبعه ساعتها:

- هذه الساعة كيم.. إنها كبيرة فبسببها تبدو ذراعك نحيلة ويدك كمخلب طير.

لامست كيم السطح الكبير بلطف وتمتمت:

- كانت لإدي.. زوجي.. هل الولدان بخير.

وفتشت في حقيبتها عن النظارة لتخفي وجهها عنه.

- على ما يرام.. ألا تسمعينهما؟

أصغت لتسمع صراخ غيل الجذل وضحك جان كلود المرح.. وصوت جرس يصدح.. لا شيء يوجب القلق.

- تقول شقيقتي ما دام الأولاد يصدرون ضجيجاً فليس هناك من خطب.

نظر إليها: لم أسمع حتى الآن جان كلود يضج.. إنه عادة هادىء.

تأججت نيران المعركة في عينيها:

- أتقصد أن غيل يعلمه ما لا يجب أن يتعلمه؟ دعني أقول لك شيئاً..

ابتسم ابتسامة ساخرة:

- لا.. لا تقولي شيئاً، أنا أقول إن جان كلود كان حتى الآن كالفأرة، وكأنه لم يكن يريد أن يلاحظ وجوده أحد.

هزت كتفيها:

- ربما لهذا علاقة بتنقله.. فأمه تأخذه إلى السكن في باريس ثم تعود به أنت إلى هنا.. أوه.. لا تهتم بما أقول، لقد كنت مدرّسة والتدريس يجعل المرء جيداً بشؤون الصغار. إن الأطفال الذي يعيشون في بيوت غير مستقرة يكونون عادة هادئين، وهذا إحصاء لا رأيي. لكن لا أعتقد أن من الضروري القلق على جان كلود لأنني لا أراه هادئاً الآن واعلم أنك بعد عودة غيل ستضطر إلى وضع كاتمات صوت على أذنيك.

- إنه ليس من الأطفال الفوضويين عادة.. وهذا ينهي أمر قلقنا عليه.. لذا لم يبق أمامنا غير شخص واحد نقوّمه.. أنت كيم.

دفعت نظارتها إلى عينيها أكثر ونظرت إليه:

- أنا؟ أنت الآن سيء كأختي، فهي تحاول دوماً التدخل بحياتي.. ولكنني أعذرها لأنها كل عائلتي.. أما أنت فلا أعذرك أبداً فلا شأن لك بحياتي الخاصة وسأكون شاكرة إن تذكرت أنني أرفض أن يزجّ أحد أنفه في شؤوني.

- حتى الصديق؟

سخرت: «هه! يا لك من صديق رائع.. فأنت تبقيني هنا رغماً عني..»

قال بلطف: «ليس رغماً عنك.. لو كنت حقاً مصممة على الذهاب لذهبت بغض النظر عن غيل والسيارة».

- وكيف أستطيع.. ليس لدي وسيلة نقل ووجهي كان مصاباً.. هذا عدا شعوري بالمرض فلا شك أن الحادثة هزتني أكثر مما ظننت.

- أعذار.. أعذار.. كان بإمكانك الذهاب. فلدينا في فرنسا، كما في انكلترا، أشياء تجري فوق سكة حديدية يسمونها القطارات.. قلت إنك يائسة للوصول إلى «آڤينيون» لكنك تعرفين أن لا شيء عندك هناك، مع أنك لا تعترفين بهذا..

رمى سيكارته ووضع يديه خلف رأسه مغمضاً عينيه وتكلم

www.mlazna.com

بهدوء:

- كيم.. لماذا لا تحاولين النسيان؟.. انظري إلى المستقبل بدل العيش في الماضي!

ردت بحدة: «لأنني سعيدة بما أنا عليه وأحب العيش في الذكريات، اسمع لا أظن أن من حقك التدخل في حياتي الخاصة.. لا يحق ذلك لك أو لجيني أو لأي شخص آخر.. فلا أحد منكم يعرف.. كنت أنا وإدي معاً منذ الطفولة.. كنا نعيش في منزلين متجاورين، لهما شرفة واحدة.. كنا نلعب معاً ونقضي أوقاتنا كلها معاً.. أذكر المرة الأولى التي قررنا فيها أن نتزوج.. كنت في الثامنة وكان إدي في العاشرة، وكنت يومها أحبه».

أشعل لوران سيكارة أخرى.. وقال:

- كلام سخيف! أتذكرين ما قلته لي عن مارسيل.. «ستكبر وتنسى»؟ لا أظن أن حبك لإدي كان رائعاً.

ردت صائحة تقريباً: «ولكنه كان...».

جعلها ما قاله تشعر بألم عميق فقالت له وهو مستلق على المرج القصير:

- أنت لا تعرف شيئاً عنه.. لذا ستعذرني إن لم أقدر رأيك؟ والآن أطلب منك أن تعنى بشؤونك..

لم يدر رأسه بل ظلّ يحدق إلى السماء:

- لماذا لا تريدين تقدير رأيي؟ أنا أكبر منك على الأقل عشر سنوات، وقد خبرت الحياة جيداً، لذا أقول لك إنه لا يمكنك العيش بقية عمرك على ذكرى. فالحياة أمامك وهي للأحياء، لا لمن يدفن نفسه في قبر غيره.. لقد خسرت زوجك.. حسناً.. ولكن هناك غيره.

أحست بالبرد من شدة الغضب وتقاطرت الكلمات من فمها كالأسيد، فقالت ما لم تقله لأحد من قبل وكأنما هناك سد انفجر:

- يا للرجال! أجل.. هناك الآلاف منهم! لكنك لا تعرف نصف الحقيقة! أنا أرملة، أتذكر؟

تمددت شفتاها بابتسامة مريرة وأضافت قائلة:

- الأرامل صنف منفصل، نحن لا نعامل كالنساء الأخريات.. لسنا بحاجة إلى التودد إلينا ويجب ألا يكون لدينا تردد أنثوي لأننا سبق أن عرفنا الحياة. كل ما حصلت عليه من الرجال هو الإهانة وهذا يشمل إهاناتك! لقد حاولت مغازلتي مع أنه لم يكن قد مضى على وجودي أكثر من يومين..

رد بدون تأثر:

- لم أكن أهينك.. كنت منجذباً إليك وبصراحة ظننت الأمر طبيعياً.. كنت حزينة كثيراً على سيارتك، ففكرت أن أوفر لك أشياء أخرى تفكرين فيها..

قاطعته بشراسة:

- أوه.. يا لنبلك! تزعج نفسك هكذا لمجرد إلهائي!

للمرة الأولى تراه غاضباً.. نظرت بسرعة إلى وجهه وهو يقول:

- هذا صحيح.. اختبئي وراء نظارتك السوداء كيم.. فهذا دليل على عدم ثقتك بنفسك وبمشاعرك.. لكن اللجوء إلى تلك الحادثة التي تقولين إنني أهنتك فيها أمر غير صحيح.. أليس كذلك؟ كنت تعرفين أن ما حدث كان سيحدث.. كان لديك الدلائل مسبقاً.. وكان بإمكانك منعي.. أم لعلك حسبتني من رجال الكهف؟ أؤكد لك أنني لست هكذا، كما أنني لست ولداً صغيراً لأهاجم فتاة خلف الأشجار دون أن أبالي بأي شيء.. مون ديو!

توقف هنيهة ثم أضاف: «ولكنني توقفت ما إن طلبت مني هذا.. وكنت أعتقد أنها مناسبة أولى مرضية...»

عاد الغضب بقوة كاملة، وغلت كيم سخطاً:

- مناسبة أولى؟ يا إلهي.. يا لجرأتك! أتحسبني مقيمة هنا من

أجل هذا، من أجل محاولة أخرى تبدر منك؟ ستقول لي إننا شقيقا روح أو أي شيء سخيف آخر.. قد يكون هذا ناجحاً مع صديقاتك الأخريات، وأراهن أن عندك منهن العديدات، ولكنه غير نافع معي.. لقد سمعت مثل هذه الأشياء مراراً وتكراراً من قبل، وأعرف بالضبط ما قيمتها!

اعترف متجهماً:

ـ كان في حياتي بعض النساء.. أنا في السادسة والثلاثين ولست ناسكاً.. ولا أظن أن زوجك حمل إليك عذريته.

ـ كفى.

وجلست على ركبتيها:

ـ لن أجلس هنا وأصغي إلى كلمة أخرى.. لا يحق لك.. إن هذا الحديث مقرف لذا لن أدعك تدقق في شؤوني الخاصة أو تحدثني هكذا..

تدحرج إلى جانبه ومد يده بتكاسل ليمسك خصرها، فأفقدها توازنها، وعادت إلى حيث كانت.. وكأنما نومت مغناطيسياً لأنها لم تفعل شيئاً وهو ينتزع نظارتها ويرميها على المرج.. ثم راقبته وهو يشدها إليه.

ـ أكان هذا كل ما في الأمر كيم؟

كان يهمس وكانت أنفاسه تلفح وجهها.. عانقها عن غير تردد أو استعجال، ولكن ما يحصل الآن كثيراً ما تعرضت لمثله في السنتين المنصرمتين ولكنها كانت تقاوم بشدة وتتخلص من الفاعل عند باب شقتها.

غير أن عقلها المذهول سجل عطاءً رقيقاً في عناقه. وكان يسعى دون المطالبة بالرد.. حاولت السيطرة على استجابة غير إرادية ففي داخلها شيء حار عذب يخرج إلى الحياة ويتدفق دفئاً.. ثم أصبح كل شيء سهلاً فتسللت ذراعاها إلى كتفيه وضمته..

كانت تغرق في بحر من الرقة والسعادة وأصبح كل شيء فجأة ضباباً ذهبياً..

سألها: «أكان الأمر هكذا؟»

ونظرت إليه فرأته بوضوح. رأت عينيه تحت أهداب كثيفة طويلة.. بؤبؤا عينيه متسعان بحيث كان الإطار الرمادي مجرد دائرتين ضيقتين رماديتين من النور حول أعماق قاتمة لا قرار لها، كانت تجذبها لتغرق فيها.. لكن ردة فعلها كانت عنيفة فدفعته عنها بذعر، والتقطت نظارتها ثم هبَّت على قدميها فهبَّ لوران أيضاً وراح يرتب شعره الأشعث ويلتقط أنفاسه المتسارعة.

ـ لا بأس عليك كيم.. الولدان بعيدان.

كان ذلها كاملاً فهي لم تفكر في غيل أو جان كلود أما هو ففكر فيهما.. أوه.. لقد فكر! كان قادراً على التفكير في أمور عاقلة ولم يكن كدمية لا تفكير لها.. دفعت يديه عنها بشراسة قبل أن تركض بعيداً على الأرض المسطحة لتنزل الممر المتلوي بين صفوف أغراس الكرمة.

كانت تبكي وهي تركض. لا! لم يكن الأمر يوماً هكذا!.. ولم تشعر قط وكأنها ضائعة.. مع إدي كانت آمنة! هكذا كان الأمر.. لم تغرق في بحر من السعادة ولم تشعر بأنها تريد المزيد حتى تتخلص من وحدتها.

في أسفل التل توقفت لحظة لتستعيد رباطة جأشها، ثم ربطت منديلاً حول رأسها وأرجعت شعرها المسترسل إلى الوراء بعدما انسلّ بطريقة ما من ربطة ذنب الفرس وأخذ يتطاير حول كتفيها، كانت شهقات النحيب قاسية جافة في حلقها تؤلمها وتجعلها تشهق لتتنفس. وصلت إلى الحرج الصغير حيث تركوا الدراجات، فأبعدت دراجتي الولدين وجذبت دراجتها وجرتها إلى الطريق، ثم راحت تقودها بشراسة عائدة إلى «ديودونيه».

ما إن وصلت «ديودونيه» حتى كانت قد اتخذت قراراً. . عرفت ماذا يجب أن تفعل. . يجب أن ترحل حالاً. . فالتجاذب القائم بينهما قوي جداً وخطر عليها. . نعم كان عليها الرحيل منذ البداية وبالتحديد منذ تحرش بها للمرة الأولى.

عندما اتخذت هذا القرار هدأت أعصابها. . رمت الدراجة جانباً، واتجهت إلى المنزل. . يجب أن تكون هادئة. مرت بها سيارة بورش حمراء فلم تلاحظها. . لقد عاد الجليد يلفها بطبقة كثيفة. . وأملت أن يصل الجليد في النهاية إلى اللب الحار في أعماقها ليجمده. . إنه المكان الوحيد الذي تمكن لوران من إشعاله لأن ناره ما تزال حية. . دخلت من الأبواب الكبيرة وأسرعت ترتقي الدرج متسائلة كيف يتدبر أمره مع الولدين. . وتمنت بحقد أن يتعباه.

ـ بونجور مدام.

جاء الصوت من فوقها فتوقفت كيم على الدرجة السفلى من الدرج وراحت تنظر إلى فوق فتابعت صاحبة الصوت العذب:

ـ أظنك حكيمة لأنك عدت باكراً. . فثمة عاصفة قادمة، وأرجو ألا يدع لوران صغيري جان كلود يتبلل.

المرأة التي كانت تنزل الدرج امرأة كاملة فعلاً. طالما اعتبرت كيم نفسها جميلة المظهر بشكل معقول، ولكن هنا الجمال. . أحست بشعرها الذي تبعثر بعدما نزعت المنديل عن رأسها، قليل من الغبار وبقع العشب الأخضر على تنورتها وحذائها. .

استوعبت كيم كل شيء بنظرة واحدة:

ـ مدام تريڤيل؟

كانت السيدة صغيرة الجسم، أنيقة المظهر. . شعرها الأسود مرتد إلى الوراء برقة عن وجه بيضاوي، رائع التقاطيع.

ـ ناديني صونيا أرجوك. . لقد أخبرتني ڤيڤيان عنك وأحس بأن بيننا شيئاً مشتركاً.

إنكليزيتها متقنة كإنكليزية لوران، لكن اللكنة ظاهرة بشكل أوضح كما أنها تتردد في اختيار الكلمات. لكن الصوت السريع كان يخفي كل شيء. ووجدت كيم نفسها تقع تحت سحرها. . أشارت صونيا تريڤيل إلى خاتم زواجها ونظرت إلى خاتم كيم:

ـ عانت كلتانا؟ والمعاناة تخلق دوماً رباطاً ما. .

تابعت نزولها إلى آخر الدرج ثم أردفت:

ـ تعد لي ڤيڤيان الشاي. . وأنا أحب الشاي الإنكليزي لأنه منعش أكثر من القهوة. . سأكون بانتظارك في «الصالون» بعدما ترتبين وضعك. أرجوك انضمي إليّ هناك.

تمتمت كيم لنفسها: وهذا يعني أنك مقرفة المنظر. . ! في غرفة نومها راحت تفكر في تنفيذ خطتها الجديدة في أسرع وقت ممكن. . ولكنها وصلت إلى استنتاج بأن الكثير من العجلة غير ضروري فالغد يفي بالحاجة. . على أي حال ستذهب إلى المزرعة باكراً لترى ما إذا كانت سيارتها جاهزة أم لا.

في الوقت الراهن من الأفضل أن تجمّل نفسها لتنضم إلى مضيفتها لاحتساء الشاي. . لقد صدمها وصول والدة جان كلود خاصة وهي تراها بعيدة عما تصورت. كانت تتوقع امرأة أكبر سناً، أو على الأقل امرأة تبدو أكبر سناً. . صونيا تريڤيل لا تبدو أبداً امرأة تجاوزت السادسة والعشرين ولكن المنطق يقول إنها على الأقل في الثانية واللاثين إن لم تكن أكبر. . ولم تبدُ السيدة تريڤيل امرأة تهجر ابنها أو تترك غيرها يربيه. .

من ناحية أخرى من غير الصائب الانجراف وراء أحكام سريعة خاصة وهي متأثرة بأشياء قالها لوران. . أرجعت ذاكرتها إلى الوراء لتتذكر ما قاله بالضبط عن زوجة أبيه. . ولكنها لم تتذكر إلا أنها امرأة جميلة وأنها كانت مدرّسة في مدرسة أطفال والواقع أنه لم يلمح أن صونيا تزوجت والده من أجل ماله.

www.nlazna.com

ارتدت بعد الحمام فستاناً قطنياً عمره سنتان، وانحنت إلى المرآة لتمشط شعرها إلى الوراء وتثبته بالدبابيس.. عبست لصورتها في المرآة وقالت لنفسها: إنها غيرة من جهتك يا فتاة.. فأنت لا تتحملين من النساء ذات الشباب الدائم الشبيهة بأليزابيت تايلور، إنهن يجعلنك تبدين عجفاء مثل جواد جر عربات جائع!

رفعت صونيا إبريق الشاي الفضي وسكبت السائل الشاحب في فنجانين رقيقين ثم سألت:

- وهل تنوين البقاء هنا طوال الشهر؟

لمحت كيم الورق المتدلي من أكياس الشاي الصغيرة وتنهدت أسفاً.. لن يكون أول فنجان شاي لها في فرنسا شاياً إنكليزياً.. ولهذا سيكون مذاقه كالماء الساخن مع السكر والحليب.

قبلت فنجان الشاي بهدوء:

- لا.

أضافت السكر لأنها لن تتحمل الحليب.

- سأذهب إلى آڤينيون.. كان عليّ أن أكون هناك لولا حادث السيارة.

هزت صوفيا رأسها تفهماً، وارتشفت الشاي برقة قطة تلعق صحن الكريما.. وقالت:

- زحام السير هذه الأيام هو السبب فما إن يفقد المرء التركيز ثانية حتى تقع الكارثة.. هل أصبت بأذى؟

كادت كيم تهم بالقول بأن الشريك في الحادثة لم يكن سيارة أخرى بل أحد أشجار لوران، لكنها قررت العدول:

- لم يحدث ما هو خطير فالسيارة وحدها هي المصابة، وأخشى أن تكون إصابتها سيئة. لكنها ستكون جاهزة للاستخدام قريباً.

- ولوران.. أكان مضيفاً جيداً؟ هل جعلك تحسين بالراحة خلال إقامتك؟

وجدت كيم أنها لا تهتم بصونيا تريڤيل بل الواقع أنها لم تعجبها. فالبدن يقشعر من هذه المرأة ولكنها طالما استسخفت الناس الذين يكرهون شخصاً معيناً من أول نظرة دون سبب.. وعلى ما يبدو أنها الآن واحدة منهم ولا تفهم السبب. عادة تتفق مع النساء.. ربما السبب هو الاستجواب اللطيف الذي لم يكن شخصياً.. وتصورت ماذا سيكون الرد لو قالت لأحد معارفها أنها تعرّضت لحادثة وتصورت الجواب.. سيقولون جميعاً: هل أصبت بأذى، وكيف حدث هذا؟ أما هذه المرأة فلن تقول ذلك.. ابتسمت كيم بلطف.. وأجابت:

- أكثر من مستريحة.. لقد استمتعت بإقامتي حقاً.

* * *

طوق الياسمين

٦ ـ لا أحتاج حباً

تأملت كيم فستانها اللائق الوحيد وراحت تتحسر على قدرها، غاضبة من نفسها لأنها لم تنفذ خطتها القاضية بتوضيب حقائبها ومغادرة المكان. . لقد كانت منشطرة قسمين بعد احتسائها الشاي مع والدة جان كلود. . ولكنها تركت السيارة تؤثر في قرارها أكثر مما يجب. . لقد كان إدي يحب السيارة، لذا إذا تمكنت من الذهاب إلى آڤينيون فيها فتكون أقرب إليه. . ثم فيما بعد ما كان يجب أن تستسلم للولدين. . لكن هذا هو قدرها. . على من يضع الخطط أن يلتزم بها وأن يكون صلب الإرادة، لكنها بلهاء أمام نظرة غيل الحزينة وعيني جان كلود السوداوين.

قرع غيل بابها ودخل يلحق به جان كلود وكانت هي جالسة أمام المرآة تتساءل عما إذا كان بالإمكان فعل شيء لوجهها.

ابتسم غيل: «غداً «سانت نازاير»، يقول لوران إن المركب سيكون جاهزاً في التاسعة».

ثم لمح حقيبتها المفتوحة ومحتوياتها:

ـ أنت غير ذاهبة كيم. . ليس الآن؟ يجب أن نبقى وإلا سيكون الأمر فظيعاً.

تأوهت كيم: «لقد سبق أن حدث مثل هذا من قبل، فكلما جهزت نفسي للرحيل، تدخل أنت وجان كلود لتقولا لي إنني لا أستطيع. . ما الأمر الآن حباً بالله؟ نعرف أنني لا أستطيع البقاء هنا إلى الأبد. . فبعد

وصول والدة جان كلود الآن أصبح بالإمكان وضعي في لائحة عدم المرغوب فيهم في الرحلة».

تورد وجه غيل حرجاً: سيارتك غير جاهزة.

ارتدت تواجهه:

ـ تكلم بصراحة. . أيها الصبي الصغير. . هل أملت أمك قوانينها مجدداً. . هل ملأت أسلاك الهاتف ضجيجاً بين هذا المكان وريتشموند؟ ما هو السبب الحقيقي؟ أعدك إذا كان السبب جيداً أن أعيد التفكير حتى تجهز السيارة، أما إذا كان السبب سخيفاً كالعادة تراني عداً على أول قطار يسافر إلى أنجير.

ازداد تورد وجهه القرمزي:

ـ يقول جان كلود إن ذهبت فلن نتمكن من الذهاب إلى أي مكان!

نظر إلى جان كلود فكشر الفرنسي وجهه من الألم أما وجه غيل الأحمر فتجهم:

ـ أنت لا تفهمين. . السبب والدته.

رفعت كيم حاجبيها:

ـ ألا تريد الذهاب إلى سانت نازاير غداً؟

ـ أوه. . يقول جان كلود إنها ذاهبة إذا كانت رحلة قصيرة. . فهي تبقى دوماً في غرفتها حتى وقت الغداء ولن نتمكن من الابتعاد لأنها تريد العودة وقت العشاء. . ولن يكون العشاء هو نفسه كذلك لأنها تدعو دوماً الناس إلى هنا، أو تخرج للعشاء في الخارج. يقول إن هذا ما يحدث عادة حين تكون هنا. . لا يذهب إلى أي مكان. كما تفرض علينا ارتداء أفضل الملابس طوال الوقت وتقرأ الكتب، ليس المجلات الهزلية. . بل الكتب!

ردت عن غير شفقة: «تستحق».

قال جان كلود من وراء غيل بالفرنسية:

ـ نعم هذا صحيح مدام كيم. هذا صحيح! والمسكين لوران عمل

جاهداً والآن لن يحصل على عطلة. سيعمل طوال الوقت في المزرعة وستقول لنا أمي أن علينا البقاء هادئين.

أردف غيل: «وهذا سيفسد علينا كل شيء.. لقد خططنا لكل شيء.. أليس كذلك جان كلود؟ لذا يجب أن تبقي كيم.. لن يطول مكوثك هنا فجان كلود يقول إن أمه لا تقيم أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام.. بعد ذلك سنكون على ما يرام، حتى لو ذهب لوران إلى المزرعة يومياً.. نستطيع الخروج معك بدلاً منه.. وأنت تذكرين أننا مرحنا كثيراً في رحلاتنا بالباصات.

نظرت كيم إلى الوجهين المتوسلين وتهاوى قرارها:

- حسناً، حسناً، لقد أقنعتماني. إنما لن أبقى إلى ما بعد يوم الجمعة. أريد الرحيل قبل نهاية الأسبوع.. ولكنني أريد منكما في هذه المدة أن تكونا مطيعين.

تنفس غيل الصعداء: «سنكون».

ولف ذراعه حول كتفي صديقه متمتماً بالفرنسية:

- بون، جان.. ألم أقل لك أن كيم لا تخاف شيئاً أو أحداً.. تعال إذن ودعنا نغتسل.. بإمكانك الاستحمام قبلي.

كبتت ضحكتها حتى ابتعدا، ثم سمحت لنفسها بابتسامة عريضة، وما لبثت أن عادت إلى التبرج.. لا شك أن والدة جان كلود ستأتي إلى العشاء بثوب من الحرير الأسود المصنوع على يد إيف سان لوران.. لذلك زادت قليلاً من أحمر الخدود على وجنتيها ومن أحمر الشفاه على شفتيها تعويضاً عن ثوبها البسيط وسرّت بالنتيجة.. وهونت على نفسها: ابتهجي يا فتاة..

فيما كانت تنزل الدرج تساءلت لماذا فعلت كل هذا، فهي لا تهتم بما يفكره الناس وتبين لها أن المسألة مسألة كرامة شخصية. وهذا أمر سخيف..

لم يكن ثوب صونيا الحريري الأسود من صنع سان لوران، بل كان

من صنع بيار كاردان، وكان يلوح حول جسمها الصغير وكأنه غيمة مظلمة ولم يكن يخفف من اسوداده غير عقد من اللؤلؤ وبعض الخواتم اللؤلؤية والألماسية..

ارتد لوران إلى كيم ثم أشار إليها بابتسامة أن تجلس قرب النار.

- مياه بيريه كيم؟ إنها صافية صفاء يجعلها تنفع دواء.

- رائع!

ظنت أنها ستشعر بالحرج حين تراه ولكن ابتسامته أعادت إليها ثقتها بنفسها فهو لا يحاول استغلال شيء من ذلك العناق الذي جرى بينهما فوق التل، لذا ستنساه هي أيضاً. أما الحب فهو ما كانت تشعر به تجاه إدي، وما شعرت به بين ذراعيه لم يكن حباً بل رغبة.

راحت الأصوات الناعمة تتبادل الأحاديث وكانت كيم تراقب بطرف عينها لوران الذي كان واقفاً يصغي بانتباه إلى حديث صونيا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ساخرة لم تكن تصل إلى عينيه ثم أطل غيل برأسه من باب الصالون ينادي بصوت مرتبك:

- كيم.. أمي على الهاتف وهي تريد محادثتك.

ما كان يمكن أن يكون هناك أفضل من هذا التوقيت إذ هرعت كيم إلى الخارج وكأنها كانت في قفص.

بدا صوت جيني مشاكساً:

- أهذا أنت كيم؟ إذن ما زلت هناك؟

- وماذا توقعت؟ ألم أخبرك بأن السيارة محطمة.. وأنا أنتظر أن تصلح.

تلاشى النكد من صوتها:

- إذن لن تذهبي إلى آفينيون؟ أعني لن يكون لديك وقت؟ كيف حالك مع الطويل الأسمر الوسيم؟

تجنبت كيم الرد على السؤال:

- المهم كيف حالك أنتِ؟ هل نجحت العملية الجراحية؟

www.mazna.com

- أوه.. تلك.. لم أحس قط بأنني أفضل حالاً. ولكنني في الواقع قلقة عليك لأنك لم تراسليني، وبطاقات غيل البريدية لم تذكرك قط. لذا خلتك سافرت.. أخبريني.. ما شكل لوران هذا؟

ردت ساخرة: «إنه كل ما أحلم به.. كوني منطقية جيني.. إنه شخص تعرفت إليه بمحض الصدفة، لذا لا داعي للصعود إلى القمر.. على أي حال نحن لم نلتق في ظروف سارة.. فأنا اصطدمت بشجرته وكم أحببته من أجل هذا!»

- إنها بكل تأكيد طريقة جديدة هل يعجبك؟

عبست كيم في وجه الهاتف:

- لا.. سأقفل الخط الآن..

- لا.. لا تفعلي هذا.. قال غيل إن والدة جان كلود وصلت للتو.. ألا تعيش هناك طوال الوقت؟

- إنها تعيش في باريس وهذه إحدى زياراتها الخاطفة..

- هذا أفضل وأفضل.. إنه غير متزوج وزوجة أبيه لا تعيش معه..

شدت كيم على أسنانها وقالت بقسوة:

- اصمتي..! لقد قلت لك مراراً وتكراراً إن فكرة الزواج غير واردة عندي.. لذلك عودي وابدئي العمل في مكتبك العاطفي مع زبون آخر..

وصفقت السماعة في وجهها.

في الصالون لم تعد صونيا قلقة على ضعف مناعة ابنها جان كلود والخوف من التقاط أي مرض معدٍ.. فقد كانت الآن بمساعدة دفتر ملاحظات صغير وقلم ذهبي، تحاول وضع لائحة بأسماء ضيوف للعشاء ولكنها كانت لسوء الحظ مضطرة إلى صرف النظر عن كل من اختارت وانتهى بها المطاف إلى صفحة بيضاء إذ ابتسمت بحزن أمام ابن زوجها، وقالت:

- الجميع في إجازة تقريباً وأنا غير معتادة على العشاء العائلي لأنه

لا تتخلله أحاديث ممتعة ويبقى فيه المرء مقيداً.

لكن لوران لم يكن متحمساً لبديل عن العشاء العائلي:

- ستضطرين إلى تحملنا مدة يومين.. على أي حال.. ڤيڤيان طباخة ماهرة وبسيطة ولكننا لا نستطيع أن نطلب منها أن تصنع شيئاً مميزاً لك.

ابتسمت صونيا بفظاظة:

- وهي عجوز! حقاً لوران.. أنت في غاية اللطف معها. يجب أن تتقاعد.. أعطها تعويضاً صغيراً وراتب تقاعد فذلك لن يكلفك كثيراً.

كانا يتكلمان بالفرنسية فلم تفهم كيم رده، كما فاتها فهم أكثر الحديث الذي لا يهمها خلال العشاء.. ولم تهتم كثيراً بما أكلت وشربت بل ركزت على غيل وجان كلود المكبوتين بشكل غير طبيعي.. غيل تفهم أنه يتصرف كما تعلم أن يتصرف ولكن جان كلود لم تستطع أن تفهمه.

بعد العشاء أعطى لوران تعليماته للولدين بأن يتوجها فوراً إلى الفراش:

- نريد الانطلاق باكراً.. ومن يغط في النوم غداً نتركه هنا.

إذن لن يهتم باعتراضات صونيا..! رفعت كيم حاجبيها.

- وأنت كذلك كيم أرجو ألا تتوقعي رحلة مريحة في المركب إذ وضعت محركاً جديداً للمركب القديم وهو الآن يسير بأسرع مما كان يسير يوماً إنما هو غير مريح كلياً لأنه مركب معد لصيد السمك رائحته دوماً رائحة السمك، وستكون رحلة بطيئة حتى الساحل وأبطأ في العودة.. إنما ستمهلك ساعة أو أكثر لزيارة البلدة. ڤيڤيان ستوضب لنا الطعام، وأما القهوة والشاي فسنعدهما في المركب ففيه مطبخ صغير.

- هذا رائع فطالما أحببت المركب والأنهار.. سيكون يوماً ممتعاً ولن أضطر إلى إبداء الإعجاب بالآثار.

سألتها صونيا وهم عائدون إلى الصالون:

- ألا تعجبك التحف الأثرية؟ إذن أنت من محبي الطراز العصري وتفضلين الأشياء البسيطة العملية؟

- أبداً.

وتقدمت لتجلس قرب النار مادّة قدمها الصغيرة إلى الحطب المشتعل ثم أبقت نظرها على النار. هل كانت بعد ظهر اليوم حقاً فوق التلة مع لوران ونزلت هاربة من هناك وهي تشعر بالخجل من تجاوبها؟ يبدو أن هذا حدث منذ أجيال.. ! وها هي الآن تتصرف وكأن عالمها لم ينقلب رأساً على عقب، تنظر إليه وتحادثه وكأنهما يلتقيان صدفة.

هزت رأسها على غبائها وأردفت:

- في الطراز العصري مشاكل كثيرة.. أجد الأدراج غير كبيرة بما فيه الكفاية.. وأعتقد أنني أحب الأثاث الأثري إذا استخدم كما يجب فأنا أكره أن يوضع في منزل وكأنه معروض فقط.

تابعت الحديث بغير تركيز محاولة التغلب على الإحساس بالانقباض الذي كان يطبق عليها.. هناك أمور كثيرة تجري لا تفهمها وهي موجودة منذ وصلت أما الآن فأصبحت أعمق وأبرز معنى.. ولكن المعنى ظلّ غير واضح.

رتبت صونيا تنورة فستانها الواسعة وهي تجلس في المقعد المقابل.. بدت كمركيزة خارج زمانها ثم سألت مبتسمة:

- لكنك معجبة بهذا المنزل، أليس كذلك؟

ردت كيم الابتسامة وتمتمت دون أن تقول شيئاً كثيراً.. كيف لها أن تقول إنه منزل رائع إنما للعرض فقط، وهو غير صالح ليكون بيتاً. إنه صفر بالنسبة إليها وهي تفضل منزل المزرعة القديم الدافىء لأن أثر الحياة ما يزال فيه، على الرغم من خلوه من البشر منذ زمن طويل.. تذكرت منزلها حين كان والداها على قيد الحياة وقبل أن تجعله جيني عصرياً وحديثاً، كان كبيراً بالياً، لكنه ودود ودافىء أما هذا المكان فيستحيل أن يشبهه يوماً.

بدأ لوران يجمع فناجين القهوة فوجهت صونيا اهتمامها إلى ابن زوجها:

- أنت مصرّ على الرحلة في المركب، مون شيري؟

- لقد وعدت الولدين وأنت تعرفين أنني أحافظ على وعدي.. فهل سننال شرف رفقتك؟

هزّت كتفيها بأناقة ثم تنهدت:

- أنتم تريدون الخروج باكراً في الصباح.. لكن هل لدي خيار آخر؟ سيكون يوماً طويلاً..

قال بلطف ساخر: واثق أنك ستتمكنين من إجبار نفسك.

توجهت كيم إلى غرفتها لتلك الليلة، وهي حائرة فيما بدا لها تصرفاً غريباً بين أفراد الأسرة ولأنها قادمة من بيت الجميع فيه على تقارب وثيق فشلت في فهم سبب فقدان التفاهم في ما بين صونيا وابنها.. فصونيا أوحت بأنها أم مهتمة ولكنها لم تكد تتكلم مع الولد الذي بقي بعيداً عنها ما وسعه إلى ذلك سبيلاً وهذا غريب لأن غيل لم يخف قط من أمه.

جعلتها هذه الفكرة تجلس مستقيمة في الفراش. هذا هو الأمر إذن؟ جان كلود يخاف من أمه! أما لوران فيصعب معرفة ما يفكر فيه إذ لم يظهر عليه شيء إلا في بعض التلميحات الساخرة.

ربما لم يكن لوران موافقاً على زواج أبيه بفتاة صغيرة هكذا.. ربما كان شعر بشيء من الغيرة.. فهو كما بدا لها كان يحب أمه كثيراً.. وها هي كيم روبرتس تفعل الشيء عينه الذي قررت ألا تفعله.. الاهتمام بشؤون الآخرين. استلقت على جنبها ورفعت الوسادة تحت خدها، وأغمضت عينيها بحزم.. ولكن الأفكار ظلت تتوالى وتتوالى.. ربما هناك أكثر من الغيرة من جانب لوران، أو ربما فهمت المشكلة بطريقة معاكسة.

ألم يقل إن كل الشبان كانوا يلاحقون المدرّسة الجميلة، وهو من

بينهم؟ ربما أرادها لنفسه وعز عليه أن تتزوج بأبيه بدل انتظاره؟ أخيراً تنهدت تنهيدة قرف بسبب عدم قدرتها على إجلاء تفكيرها، وأضاءت المصباح الصغير قرب السرير وخرجت منه تفتش في حقيبتها عن كتاب، ثم عادت إلى السرير حيث غرقت في حياة بطلة القصة.

ظهرت صونيا على مائدة الفطور في الوقت المحدد مرتدية ثياباً مناسبة ليوم الإبحار. سروالاً أبيض واسعاً وقميصاً قطنياً مخططاً أفقياً بالأبيض والكحلي وسترة كحلية فوق ذراعها ولم يكن هناك فرق بين ما ترتديه وبين زي البحارة غير القبعة.

أحست كيم وهي في القميص الوردي وسروال الجينز الذي أجهد الغسل وسلبه لونه بأنها مختلفة كلياً.. نعم لا تنكر أن شقيقتها جيني كانت صغيرة الجسم.. ولكن صغر حجم صونيا بدا منسجماً بحيث لا تبدو صغيرة الحجم أبداً، بل بدا وكأن كيم هي الضخمة كلاعبي الركبي ومفتولة العضلات مثلهم.

صعد الجميع في سيارة أكبر من التي اعتادت على رؤيتها مع لوران، بدت وكأنها تستخدم للأسواق ولحمل الأغراض. توجهت كيم والصغيرين إلى المقعد الخلفي فلمّا رأتها من الداخل جعدت أنفها. فرأى لوران تعبيرها وقال لها:

- لسيارتك الأولوية في التصليح.. بإمكان هذه الانتظار.. ولكنني لاحظت أنك لم تذهبي لرؤيتها منذ أيام ولا تلاحقين تقدم إصلاحها.. فهل خبت رغبتك في زيارة آڤينيون؟

ردت بحبور متجنبة عينيه:

- أبداً.. لا تزال آڤينيون هدفي، وإن لم تكن السيارة جاهزة يوم الجمعة فسأقوم بما اقترحته عليّ وأستخدم القطار.

- إنه مجهود كبير!

رفعت نظرها إلى عينيه فوجدتهما تلمعان بالمكر.

أكمل يسأل: «ماذا في آڤينيون غير الذكريات.. كيم؟»

ردت وعيناها الزرقاوان تبرقان:

- هناك درع.. وأنا أحتاج إليه.. فهو يجعلني قادرة على التعامل مع أمثالك من العابثين!

بدا السخط في صوته وهو يفتح لها الباب:

- أنا لا أعبث أبداً..

- كان بإمكانك أن تخدعني!

التفتت إلى الصبيين اللذين مددا نفسيهما على عرض المقعد الخلفي:

- تحركا إلى الداخل.. فأنا أكبر حجماً من أن أحشر نفسي في مساحة ضيقة.

سمعت تمتمة من خلفها والباب يوصد:

- لست كبيرة الحجم.. بل أفضّل أن أقول جذابة.. لذا لا حاجة بك للسعي إلى إطراء.

توردت كيم ولكنها صبّت اهتمامها على رفع زجاج النافذة، أما الولدان فحشرا جسديهما حشراً لأنهما كانا يحملان قصبتي صيد رفضا التخلي عنهما، ووضعهما في الفراغ الكبير في المقعد الخلفي.. ثم التفتوا ليراقبوا تقدم صونيا الشبيه بتقدم عارضة أزياء.

عبّر وجهها عن التذمر وقالت نصف مؤنبة:

- لوران.. كان يجب أن تضع ضيفتنا إلى جانبك في المقدمة لتتمكن من رؤية المزيد.

ارتدت إلى كيم تبتسم برقة:

- لقد سبق أن شاهدت كل شيء.

قالت كيم:

- قيل لي إن المسافة إلى المركب لا تزيد عن عشر دقائق في السيارة، لذا لا يمكن أن أرى الكثير.. أليس كذلك؟

تبين أن المركب مجرد طوف قديم شراعي وهو مركب صالح

www.liilas.com

لصيد السمك قرب الشواطىء . . حين صعدت كيم إليه لوّح لوران يديه يدلها على محتوياته .

ـ قلت لك إنه ليس من النوع الممتاز، لكن يبقى لدينا الإبحار الرومانسي نزولاً في النهر . . وفي العودة، سنخفض الشراع ونعتمد على المحرك في صعودنا عكس التيار .

رفعت كيم التي كانت تتفقد المقصورة والمطبخ الصغيرين رأسها، وضحكت :

ـ لا . . كما قلت تماماً، ليس ممتازاً . . أتعرف كلمة رصين أفضل من ذاك الوصف .

راقبت غيل وجان كلود منهمكين على الرصيف الخشبي العتيق بفك رباط المركب وبعدما أنهيا مهمتهما قفز برشاقة إلى متنه . وراقبت كذلك لوران يرفع الشراع الأحمر قبل أن تذهب بحثاً عن علبتي «كولا» كان الصبيّان يطالبان بهما .

كان يوماً ممتعاً فعلاً لكنه ما كان ليكون ممتعاً لو لم تتجاهل كيم جو السأم الحاد الذي تشيعه صونيا التي لم تتكلم سوى ثلاث مرات خلال الرحلة، الأولى حين تعثر ابنها بها ووضع يده القذرة على سروالها الأبيض فصاحت به ووبخته ثم نعتته بالفلاح القذر . . والثانية حين عرضت عليها كيم فنجان قهوة رفضته . . وفي الثالثة عندما تثاءبت بصوت مرتفع، فاعتذرت من الجميع .

لاحظ لوران تعبير وجه كيم الحزين قليلاً وأدار رأسه لينظر إليها :

ـ أفكار حزينة كيم؟

استعادت درع البرودة بسرعة :

ـ لا . . كنت أفكر في أشهر الشتاء القادمة . . المكان جميل هنا وبعد العودة إلى انكلترا سيكون بانتظاري أشهر سيئة، مطر وبرد وهذا ما لا أريد .

نصحها قائلاً :

ـ عيشي حاضرك . . من غير الجدوى التفكير في الماضي أو المستقبل . أما طقس انكلترا فأنا أعرفه . . لأنني أمضيت ثلاثة فصول في بلادكم ولكنه ليس البلد الوحيد الذي تهطل فيه الأمطار ويبرد فيه الجو ففي هذه المنطقة مثلاً تتساقط الأمطار بغزارة ففي بعض الأحيان تمطر أسابيع بلا انقطاع .

ـ هل كنت في لندن؟

ـ أجل سنة . . منذ أربع سنوات . كنت أدرس في كلية الزراعة في مجال تربية الحيوانات وتناسلها وطبابتها . . ولقد تعلمت الكثير . تعالي وتعلمي الإمساك بالدفة . . الأمر غير صعب .

ـ آه هه . . أرى من خلال الطريقة التي تلوّح بها بالدفة أن الأمر معقد .

ولكنها في الواقع لم تكن راغبة في الاقتراب منه خاصة وزوجة أبيه نائمة . . ولقد لاحظت أنه يحترس كثيراً عندما تكون صونيا قريبة . . نعم هي قريبة الآن لكن من حيث تجلس كيم كانت ترى عينيها مغمضتين .

سألها : خائفة؟

ـ أجل! أنا لا أبحث عن المزيد من المشاكل . . هذا ما بتّ تعنيه لي . . المشاكل! في البداية شجرة ملقاة في الطريق . .

ـ ومشكلة ما حدث على التل؟

ـ بالضبط . . فهذا ما لا أريد . . لقد سبق أن قلت لك إنني تكيفت مع الحياة التي أحياها . . وراضية بترملي . . ولا رغبة لي في إقامة علاقة من أي نوع والأهم أني لا أرغب في غرام عابر .

تمتم : «قد يكون أكثر من هذا» .

حفق قلب كيم وأحست بالإثارة تتدفق . . دوت أجراس الإنذار في رأسها ونظرت إلى ما حولها لتفعل شيئاً ما يكون عذراً لتبتعد، لكنها لم تجد شيئاً . . كانوا قد قطعوا شوطاً بعيداً في طريق العودة إلى

ديودونيه، والولدان متعبان وجالسان في المقدمة بهدوء للمرة الأولى.. لا أحد يريد طعاماً أو شراباً، ولو ابتعدت لبدت فعلاً خائفة. الشيء الوحيد أمامها هو البقاء حيث هي والمواجهة.

اتسعت ابتسامتها تسأله:

ـ أكثر من غرام عطلة..؟ ذكرى تبقيني دافئة في الشتاء؟ لا.. شكراً لك لوران.. وفّر طاقتك لمارسيل وصديقاتك الأخريات لأنني لست معروضة للتفاهات.

ـ وإن لم أكن أعرض التفاهات؟

هزت كتفيها: «لا أهتم.. لقد عرضت عليّ المواساة من قبل.. وسأقول لك ما قلت لسواك من ذي قبل، لا أريد.. لا أحتاج إلى مواساة!»

نظر إليها فخالته للوهلة صادقاً حين قال:

ـ لكنك تحتاجينه وبشكل يائس.. لا أعني المواساة، بل الحب الذي فقدته منذ وقت طويل..

تنهدت: يا إلهي.. ألا يصغي أحد يوماً إلى ما أقول؟ أنت فعلاً لا تصغي.. ادخر تحاليلك النفسية لمن يقدّرها لك، أرجوك.. على أي حال أنت مخطىء.. ويجب أن تفهم «الاكتفاء» حين تراه.. وهذا ما أنا عليه. أشعر بأنني راضية بحياتي كل الرضا وأنوي البقاء هكذا بعيداً عن القلق والالتزام.

قاطعهما صوت صونيا برقة:

ـ أليست العلاقات الإنكلوفرنسية جيدة؟

ضحكت وهي تترك مقعدها ثم تقدمت لتقف قربهما وأضافت:

ـ وكأنكما كنتما تتشاجران.. لوران.. عيب عليك! أين روح الضيافة؟ ليس من الأخلاق الحميدة إغضاب ضيفتنا.

نظرت كيم إليها:

ـ لا تلومي لوران.

عندما نظرت إلى المرأة الفرنسية كانت متأكدة من أنها كانت نائمة لذا تساءلت متى استيقظت وكم سمعت من الحديث.. أضافت مبتسمة:

ـ لا خطب في العلاقات الدولية.. الأمر فقط أننا لم نبلغ مرحلة الأحلاف العاطفية.

أضاف لوران بوقار:

ـ لكننا نعمل جاهدين على هذا الاتجاه.

* * *

٧ ـ مدّ المشاعر

استيقظت كيم باكراً على منزل هادىء صامت.. فتسللت من الفراش وتوجهت إلى الحمام لتستحم. لم تكن في مزاج يسمح لها بصحبة أحد لذا قررت الذهاب إلى المزرعة لتتفقد السيارة وإصلاحها وذهابها يعني أنها حين تعود لن تجد فطوراً ولكن ڤيڤيان ستعد لها كوب قهوة.. فهما صديقتان حتى الآن.

خرجت من الحمام لترتدي ثيابها وتربط شعرها إلى الوراء. لم تضع على وجهها غير كريم مرطب.. على أي حال لن يراها أحد إلا الميكانيكي هذا إن جاء باكراً.

في الدرج درجة أو درجتين تصدران صريراً قد يوقظ أحد.. فقامت بما تمنت دائماً أن تفعله.. انزلقت فوق الدرابزين حتى الأسفل ثم تسللت برشاقة إلى الباب ومنه انطلقت إلى أشعة شمس الصباح المشرقة. كان الطقس دافئاً وصافياً.. وكانت رائحة الورود تعبق في كل مكان.. تنهدت بسعادة ثم انطلقت نحو المزرعة تنعم بالهدوء والسكينة اللذين تحتاجهما لتنظيم أفكارها.

كانت تنوي الهرب.. ليس بسبب آڤينيون والذكريات المنتظرة هناك.. بل لأن هذه الذكريات دفاع يحجب ما بينها وبين سائر العالم.. فوراءه تكون آمنة إذ يمنع وجود عاطفة قد تمزقها فالتورط مع الآخرين يجلب الألم، ولقد أخذت نصيباً وافراً من الألم حتى الآن ولا ترغب في المزيد! لكن تحت سطح «ديودونيه» المشرق تحس

بالخطر.. فثمة موجة سريعة سوداء تهددها وتهدد راحة بالها.. وهي الآن تشعر بدفاعاتها تهتز تحت الهجوم.. والسبب معروف.

صفقت كيم بديها لتشتت غيمة بعوض تدور حول رأسها، ثم رفعت كتفيها ترفع ذقنها وكأنها فرس اشتمت رائحة القتال.. لا ليس هناك ما يدعو إلى هذا الإحساس الغريب بأنها تسير نحو الخطر.. ولكن على الرغم من كل محاولاتها رفض هذا الإحساس التزحزح.. إنه موجود، يسير معها على الطريق، وأنفاسه الباردة تلفحها.

طفقت تجري جرياً خفيفاً وكأنما تحاول أن تتهرب منه. كانت ساقاها المدببتان تعدوان بانتظام ورتابة وكان حذاؤها المطاطي يثير دفعات غبار مع كل خطوة بحيث أنها حين استدارت لتدخل إلى فناء المزرعة كانت تتنفس بسرعة، وقطرات العرق تتدحرج على ظهرها وصدرها.

حتى تسترد أنفاسها راحت تسير في المكان بهدوء ناظرة إلى مختلف السقيفات.. كانت الأبقار قد حلبت وهي واقفة الآن رؤوسها تأكل العلف وأذنابها تتحرك بكسل.

صاحت بها دجاجة قبل أن تعود للتفتيش عن الطعام.. مرّ بها قطّ وحشي المنظر كان يسعى وراء شيء ما.. ولكن الحيوانات كانت الدليل الوحيد على الحياة هناك، ولا شك أن عامل الحليب في المزرعة ومساعديه عادوا إلى بيوتهم لتناول الفطور.

دخلت كيم إلى السقيفة المستخدمة مرآباً فشاهدت سيارتها إنما بغير وضوح ثم فتحت الأبواب الكبيرة حتى يتسلل النور قبل أن تبدأ فحصها.. هزت رأسها راضية.. فالسيارة على ما يرام وهي تبدو صالحة للسير على الطريق، وهذا هو الأهم.

تقدم لوران من ورائها بصمت فذعرت:

ـ ليست جاهزة.

أنبته قائلة: «لا تتسلل هكذا! لقد أوقفت نموي سنة».

www.riazna.com

ضحك لها: «لا أرجو هذا.. لكنك حلوة هكذا فلا تكبري أكثر..».

تجاهلت إطراءه وقربه:

- السيارة.. لا يهمني كيف تبدو ما دامت تسير.. وتبدو لي صالحة.. كل ما يلزمها هو إزالة هذا اللصوق عنها.. لا يهمني الطلاء.. سيكون لدي الوقت الكافي للاهتمام به حين أعود إلى بلادي.

وبخها: أنت امرأة نافدة الصبر.. لماذا العجلة؟ هل أسأنا معاملتك؟ أم لعل السبب هو خروجك الباكر قبل الفطور؟ فالجوع يجعل المرء في مزاج سيء.. تعالي إلى البيت، سأعد القهوة أما أنت فألقي نظرة على الصالون والحمام وعلى غرفة الملابس في الأسفل وعلى كل ما أنهيناه.

من غير المجدي الرفض كما أن التفكير في القهوة الطازجة أمر مغر.

نظرت إليه وهما يسيران:

- لكن، ألا يستطيع الميكانيكي الإسراع قليلاً؟ فأنا أريد الذهاب.

- وهل ضجرت من إقامتك هنا؟

- أوه.. لا! بالتأكيد لم أضجر. لقد استمتعت بإقامتي كثيراً وكنت لطيفاً لأنك استضفتني مع أنني لم أكن مدعوة.. الأمر فقط..

وصمتت على غير عادتها.. عاجزة عن القول بأنها تحس بالخطر منذ وصولها إلى هنا.. فقد يسأل ممن هي خائفة؟ ومن هو الذي يشكل لها خطراً؟ كيف لها أن تقول له: أنت!

وتمتمت: «أنا ملزمة بالسفر جنوباً».

- وهل العشب أكثر اخضراراً في آفينيون؟

- في الواقع لا، أما مجازياً فـ «نعم»! العشب أكثر اخضراراً هناك.. ثم إنني أحب فرنسا الرومانية..

- .. وإلى هناك ذهبت في رحلة شهر العسل.. أعرف هذا.. لقد زلّ لسان غيل كعادته.. إنما لا تلوميه فهو مجرد صبي صغير.. تبدين كامرأة عجوز ليس أمامها ما تتطلع قدماً إليه، وليس لديها سوى الذكريات.. لكنك لست عجوزاً، بل امرأة شابة.. لذا يجب أن تنظري إلى المستقبل وتتركي الماضي وراءك.

ابتسمت له متجهمة:

- كفى.. أنت لا تقول لي شيئاً جديداً.. لقد سبق أن سمعت هذا من أناس لا يُحصى عددهم.. ولكنني معك لا أستطيع القول لك اصمت.

رفع حاجباً ولمعت عيناه:

- ولمَ لا إذا كان هذا ما تريدين قوله؟ لا تبالغي في التمسك بأدب اللياقة معي كيم.. فأنت لم تكوني لبقة يوم وصولك. أتذكرين؟ فيومذاك لم تتواني عن القول لي بأن أهتم بشؤوني وبأن أذهب إلى الجحيم ولم تترددي في توبيخي لأنك ظننتني أتلاعب بعواطف فتاة مراهقة.. بل أعتقد أنك لمتني بينك وبين نفسك لأن إحدى شجراتي وقعت على الطريق الداخلية واصطدمت بها.. أوه وأعتقد أنك ظننتني رجلاً فاسقاً.

رفعت كيم ذقنها وقالت ساخرة:

- أكنت تحمل كل هذا في قلبك؟ حسناً.. كنت منزعجة قليلاً في ذلك الوقت.. ولم أكن أفكر بصفاء لذا قلت أكثر مما يحق لي، وأنا أعترف بحرية أنك في تصرفك الحالي لست أكثر من متسلط أو عابث، أنت كأي رجل عرفته.. أما بالنسبة لمسألة الفسوق فأنا لم أقلها قط.. ولكن معظم الناس يميلون إلى ذلك الطريق على أي حال، فما الغريب في هذا؟

تبنت نظرة اعتراض فيها شيء من الندم:

- ولقد اعتذرت يومذاك وسأعتذر مجدداً.. ليس لأنني أسأت

الظن بك في أمر ما، بل لأنني قلت ذلك بصوت مرتفع!

ضحك: أيتها المشاكسة.! انتظري حتى أفهم ما قلته..

عبس مركزاً ثم ارتفع حاجباه مجدداً:

ـ فلننس الأمر.. أممكن ذلك؟ أشعر أنك زدت الأمر سوءاً.

قالت بتواضع زائف:

ـ أما قلت سابقاً «فلننس الأمر» ثم لم تنسه.. فهل ستستمر في رمي المسألة في وجهي كلما رفضت فيها نصيحتك؟

ـ لقد أثارت فيك شيئاً.. للحظة أعادتك إلى الحياة.. لكن..

قاطعته: أنا حية.. والآن.. هلا تابعنا المسير أرجوك؟ أين هو الصالون الذي تتفاخر به؟ أوه!

فتح باباً دفعها إلى داخله فقالت:

ـ هذا شيء رائع حقاً.. إنه أشبه بصورة في كتيبات الإعلان.. جناح منفصل.. مساحة للعشاء وصالون معاً.. والتنجيد رائع.. كلفك كثيراً بلا ريب.. هل نبشت هذا من الأثاث المخزون.

ـ لقد رأيته وأعجبني.. هل أعجبك ترتيبه.. لم يكن في هذا المنزل غرفة طعام أصلاً.. كنا نأكل في المطبخ وكان بناء غرفة طعام سيفسد مظهر المنزل كله.

سارت في المكان وأجابت معلقة:

ـ إنه ترتيب رائع.. وتعجبني المدفأة.. ليست كبيرة كفاية لشواء ثور.. لكنها نافعة لعجل صغير.. آه لا تهتم كثيراً بما أقوله.. لأنني غير خبيرة في هذا المضمار فمنزلي الوحيد منذ تركت منزل أهلي كان شقة صغيرة في لندن لا يمكن ترتيب الأثاث فيها، بل كنت أضعه حيث لا نتعثر به. فالمكان في غاية الصغر.. إن وضعت مطبخي على شرفتك يبقى لديك متسع لوجار كلب كبير..

التوت شفتا لوران وبدا على وجهه الذعر:

ـ ألا تعرفين الطبخ؟

ـ أوه.. أستطيع قلي اللحم المفروم وتحضير السلطة إنما لا أحد يمكنه وصفي بالطاهية الماهرة.. فأنا لم أتلق أقل تدريب ولم أحصل على خبرة.

ـ ربما مواهبك منصبة في اتجاه آخر! هيا بنا إلى فوق..

ـ لكنك ذكرت القهوة.

ـ بعدما تلقين نظرة على الطابق العلوي.

فجأة أحست كيم بالشفقة عليه.. إنه يعيد تجديد هذا المنزل لاستخدامه الشخصي ولا يتلقى من أحد كلمة تشجيع. لا تتصور زوجة أبيه تبدي استحسانها بشأن هذا المنزل العتيق حتى ولو حوله إلى قصر..

ارتدّت كيم على مضض تتقدمه:

ـ إذن إلى الطابق العلوي.. إذا كان هذا هو الثمن الذي يجب أن أدفعه لفنجان قهوة.

وتصنعت الدهشة عندما رأت الحمام الجديد المرصوف ببلاط أخضر شاحب:

ـ إنه لون مناسب كثيراً لصبي صغير في المنزل يترك كل شيء في فوضى.

ثم نظرت إلى غرفة جان كلود، حيث أبدت تعجبها من الأرض الخشبية المصقولة التي تلمع كلون الذهب بين السجاد المبعثر، وخزانة الأدراج والرفوف التي تحمل كل ممتلكات الصبي.

قال لوران من فوق كتفها:

ـ أنت تبالغين في إبداء إعجابك كيم.. إن جملة بسيطة تهنئينني فيها على ذوقي لأكثر من كافية.. الآن تعالي معي أريد محادثتك.

واقادها إلى باب غرفته.

فتح الباب ونظرت كيم من فوق كتفها إلى الخلف ثم أدارت نظرها بسرعة إليه.. وذهلت من شعورها بالضعف.

سمعت نفسها تبدي ذهولها وتبالغ في الحماس:

ـ يبدو كل شيء ممتازاً.

يجب ألا تتأثر هكذا فليست فتاة صغيرة خجولة. إنها في السادسة والعشرين وأرملة.

تأمل وجهها متسلياً:

ـ أراك تشعرين بالخجل! أنت امرأة غريبة جداً كيم.. أو هكذا تبدين لي. أستطيع التفكير في أكثر من نصف دزينة من بنات جنسك قد يأتين إلى هنا دون أن يشعرن بأقل حرج.

ردت بحدة وهي تجمع شتات نفسها:

ـ هذا تأثير التجربة المزعجة التي مرت بي هنا في المرة الأخيرة. لكن هذا كله جديد عليّ.. فحتى هذه العطلة أنكرت على نفسي إلقاء نظرة على غرفة نوم رجل.. أتظن أن هذا عادة من عاداتي؟ سرعان ما سأنال سمعة لا أحسد عليها لو كنت هكذا! إذ يصعب إبعاد الذئاب بعيداً دون محاولة رؤية غرف نومهم فكيف برؤيتها.

ـ هل تعرضت لمشاكل مع الذئاب؟

هزت رأسها بجد:

ـ أحياناً.. وهذا حقل يمكنك أن تساعدني فيه.. أخبرني.. وأنا أسألك لأنك يجب أن تكون قادراً على إعطائي الرد المنطقي، لماذا ينظر الرجال إلى الأرامل على أنهن صيد «حلال»؟

رد بلهجة جادة مماثلة: «في الواقع لا أظنك صيداً حلالاً أو سهلاً لأنك أشبه بشخص خرج من الحياة إذ وضعت نفسك في مخزن بارد. وربما يكون هذا هو التحدي.. يحب معظم الرجال أن يعتقدوا أنهم قادرون على إزالة الجليد عن أكثر النساء تصميماً».

ـ يا لها من عجرفة من قبل الذكور!

تقدم نحوها: «لا أظن هذا. كدت تذوبين فوق التل..»

ارتدت إلى الوراء حتى علق طرف السرير الخشبي بركبتها من

الخلف فمنع عنها المزيد من التراجع.

قالت مؤنبة: «كان تصرفاً ممنوعاً. فلنقل إنني انجرفت بأشعة الشمس وبالرفقة وبجو العطلة.. أو فلنقل إنني انخدعت بمغازلة بريئة.. أكون عادة مستعدة للمشاكل.. لكنني في ذاك الوقت لم أظنني مضطرة للدفاع عن نفسي.. منك.. على أي حال أنا ضيفتك، وما توقعت من مضيفي أن يبادرني بتصرف كذاك».

احتج لوران: «لكنني عاملتك بقفاز من حرير.. وكنت مضطراً لهذا.. فأنت كالطفلة التي أصيبت بحرق مؤلم.. أنت تخافين النار كيم.. لكن عليك أن تتعلمي أن الحب غير مؤلم دائماً.. وأنه لا ينتهي فجأة قبل أن يبدأ».

اقترب منها حتى كاد يلتصق بها ولأن السرير خلفها لم تستطع التراجع، فقررت البقاء هادئة.. فالهرب عمل جبان، ثم على أي حال لن تستطيع تجاوزه.. فهو واقف هناك يسد عليها الدرب.

قالت ببرود: «أنا التي اختار الوقت ثم إنني لا أحب أن يستعجلني أحد.. في يوم ما أتوقع مقابلة شخص.. لكن هذا أمر بعيد الحدوث».

ـ حقاً؟ أهذا ما تنوينه؟ الالتقاء برجل.. رجل غير متطلب برضى ك بالقليل الذي ستعطينه إياه على أن تبقي أنت نصف امرأة.. رجل لن يمانع في عدم الحصول عليك كاملة؟ إذا كانت هذه هي نواياك فأنت تطلبين الألم مرة أخرى، فذلك الرجل سيستيقظ يوماً ويدرك ما يفتقد إليه ثم ستجدين أنك تشاركينه مع امرأة أخرى تستطيع أن تعطيه ما لا تستطيعين أنت إعطاؤه!

تورد وجه كيم غضباً ونسيت خوفها وحرجها..

ـ هذا قول قذر! على أي حال.. لقد فهمت كل شيء خطأ.. وإنني لن أكون مهذبة معك بعد الآن لأنك لا تستحق ليس وأنت تقول أشياء كهذه.. والآن أكرّر هلاّ اهتممت بشؤونك.

ـ سأجعلك شأناً من شؤوني.

www.alazra.com

التوى فمه بابتسامة وارتفعت يداه القاسيتان إلى كتفيها:

- توقفي عن الهرب كيم.. لا مكان لك لتهربي إليه ولا أحد لتختبئي وراءه.. هذه لحظة الحقيقة بالنسبة إليك. لقد سبق أن قلت لك إنني حين أريد شيئاً أحصل عليه وإن لا شيء غيره يغنيني عنه.

- كنت تتكلم عن الأشياء المنزلية.. أشياء تستطيع شراءها في المحلات.. إنما لا يمكنك تطبيق هذا على بشر، بشر يفكرون لأنفسهم.. وأرجو ألا تعني أنك تريدني لأنك ستصاب بخيبة أمل! فأنا كذلك أعرف ما أريد... وإن بدأت استخدام القوة ملأت المنزل بالصراخ حتى يتهدم!

كلمات شجاعة ولكن قلبها كان يخفق بجنون.. لماذا تركت هذا يتطور إلى هذا الحد؟ لا شك أن لديها ما يكفي من خبرة لتجنب المواقف البغيضة. ضحكة خفيفة، تعليق ساخر، ويتحول كل شيء إلى المرح بعيداً عن الغزل الجاد. كان بإمكانها أن تتعامل مع هذا الموقف.

- لا.. لن أستخدم القوة.. عزيزتي.. بل مجرد إقناع ودّي كهذا.

شدتها يداه إليه... شهقت غاضبة واستعدت للصراخ تحدياً له.. ولكن سرعان ما اختفت الشهقة والصراخ عندما دفن وجهها في كتفه، وهمس في أذنها:

- أنا لا أستخدم القوة مع امرأة.

اشتدت ذراعاه حولها ثم أضاف:

- لا.. لا تنظري إليّ بهاتين العينين الخائفتين.. أغمضيهما فليس هناك ما تخافينه.

تلاشت احتجاجاتها وأصبحت غير قادرة على التفكير. كان عقلها يقوم الموقف لكنه لم يعطها حلاً معقولاً.. كان فيه غابة متشابكة من الأفكار والانطباعات، بعضها تفكك والآخر تحول إلى شظايا.

أهذا هو الخطر الذي أحست به يتهددها؟ هذا المد السريع المتدفق الذي يهدد باجتياحها ودفعها بعيداً عن حياتها الثابتة المستقرة؟ لقد بذلت ما في وسعها لتجنب هذا.. لكن ها هي تتصرف وكأنها لم تحاول شيئاً قط.. فكل جهودها ذهبت سدى. والأسوأ أن لوران يعرف ما يفعله.. إنه واثق من نفسه.. فهي تشعر بهذه الثقة بأصابعه التي كانت تعبث بشعرها.. لكن هذا ما لا تريده بل هذا ما لم تعرفه من ذي قبل. كان الحب الذي يجمعها وإدي حباً حقيقياً براقاً متجدداً ولكنه كان حباً عاقلاً مثلهما. فالحدة كانت متكسرة بفعل سنين التعارف ولم يحدث أن آلما بعضهما بعضاً، وهذا ما تريده للمرة التالية، هذا إن قررت أن تخطو تلك الخطوة مرة أخرى. رجل آخر مثل إدي.. رجل تكون معه آمنة، مسيطرة على نفسها، ومشاعرها، وأحاسيسها.

لا تريد هذا.. لا تريد هذا الضياع.. ولا تريد أن تنجرف في مد من المشاعر.. وترفض الاعتماد على ذراعي رجل.. هاهو الصوت يطرق أذنيها، هامساً بكلمات بصوت فرنسي أجش.. ولأنها كانت منجرفة في تيار عواطفها لم تستطع فهم كلمة مما يقول.. فجأة توقفت عن التذمر، وبدأت تحس بالسعادة من جراء عناقه ولم تعد يداها تدفعانه.

رفع رأسه ينظر إلى وجهها الذاهل:

- هل أنت خائفة أن أستغلك؟

رفعت بصرها إلى وجهه فرأت عينيه ثابتتين عليها وكأنه خائف من ردها. حاربت أحاسيسها لتسيطر على نفسها.. ومن مكان ما جاءت القوة.. فهزت رأسها:

- لا.. ليس لدي مثل هذه الفكرة عن فتنتي وأنا واثقة أنك لن تفعل ما لا أريد كرهاً.. أنا واثقة أنك لست ممن يتفاخر بتغلبه على من تعارضه أو ممن يفرض نفسه على من لا يريد.. فهذا لن يسعدك لأن القوة الغاشمة لا تروق لك.. أليس كذلك؟

نظر إلى وجهها المتورد:

ـ صحيح.. أفضل تقدماً أكثر اتزاناً.. أما بالنسبة للتغلب كرهاً لا أظن أنه سيكون هناك إكراه أو غصب صحيح؟

كانا يتكلمان همساً وكأن هناك من يصغي إليهما.

تمتم: «أظن أننا كنا بحاجة إلى مثل هذا العناق».

كبتت الغصة التي صعدت إلى حلقها بسبب رقته:

ـ لم أكن بحاجة إليه.. حقاً.. كنت سعيدة بما أنا عليه.

ـ لكن يجب أن تتعلمي يا صغيرتي.. قد يكون الماضي حلواً، لكن الحاضر والمستقبل قد يكونان أجمل إذ لا يقدر أحد على البكاء إلى الأبد.. وأنا قادر أن أظهر لك وأبرهن لك أن المستقبل قد يكون أفضل وأروع من ذي قبل. لكن.. سنلعب اللعبة على طريقتك.. أنا لا أرغم امرأة على شيء.

رفعت كيم عينيها إلى عينيه وكأنما تفتش عن الحقيقة وظنت أنها سمعته يتنهد راضياً قبل أن يشدها إليه ليضع خده على رأسها.. فجأة أرادت أن تبكي أن تلقي رأسها على صدره وتجهش بالبكاء كطفلة متألمة.. لماذا لا تترك الحاضر للحاضر والماضي للماضي؟ ولكنها ليست الطريقة التي تعيش فيها ولن يكون من السهل عليها أن تمضي في الطريق معه.. مع أنه أظهر لها بشكل فعال جداً أنه قادر على توجيهها إلى حد أن تفقد سيطرتها على نفسها.

واعترفت بحزن:

ـ على الأرجح تستطيع أن ترغمني.. يبدو أن مُثلي الأخلاقية ضاعت في مكان ما على الطريق.. ولكنني سأكون خجولة من نفسي فيما بعد..

ـ لطيف.. أنت لا..

ما كان سيقوله ضاع أمام صوت جرافة دخلت إلى الفناء، تجرها هدير ثقيل لمركبة أكبر بكثير.. وتصاعد صياح ونداء رجال، لكن

لوران هز كتفيه كعادته، ووقف ليتقدم إلى النافذة.

ـ إنها شاحنة «التعاونية» تأخذ الحليب.. رجالنا هنا معهم، لذا فترة هدوئنا انتهت. لقد تطفل العالم علينا.. لكن هذا ليس بالأمر الخطير..

التفت إلى كيم ثم ابتسم:

ـ سأعيدك إلى المنزل فوراً.. تحسن ڤيڤيان إعداد القهوة أكثر مني ومنك وستكون منتظرة.

قالت بوقار وهي تسير في الطريق إلى جانبه:

ـ الحمد لله.. لأن العالم تطفل علينا.

ابتسم لها: «أنا بحاجة إلى التكلم معك».

ـ ليس هناك ما نتكلم عنه.. لقد عانقتني.. واستجبت.. وهذه نهاية القصة.. لذا سننتقل إلى موضوع آخر.. ماذا ستسمي بيتك الريفي؟ وماذا ستفعل بديو دونيه؟

قال جاداً لأنه عزيز على قلبه.

ـ سأحمل الاسم معي فهو تابع للمزرعة، لذا من العدل إذن أن أرده إليها. كان اسم تريڤيل وديودونيه يعنيان الشيء عينه زمناً طويلاً في هذا الجزء من البلاد. أما المنزل الآخر.. ماذا تقترحين بشأنه؟ أؤجره أم أبيعه أو أحوله إلى نزل للزوار؟

جعدت كيم جبهتها:

ـ حسناً.. إن كنت لن تسكن فيه فعليك القيام بشيء ما به فلو بقي فارغاً لتهدم. ربما تجد شخصاً ثرياً تعجبه كل تلك الأناقة فيشتريه لك.. أو تستطيع أن تفتحه للسواح وتأخذ منهم رسم دخول.

ابتسم: «هناك الكثير من المنافسة.. والناس يأتون إلى وادي لوار لرؤية القصور الكبيرة لا النسخ الصغيرة. لكن كما قلت لا يمكن تركه فارغاً.. وأظن أن أفضل خيار أمامي هو بيعه.. فلو أجرته لبقيت مسؤولاً عن التصليحات الرئيسية فيه.. أو تعاد تسميته الأصلية: «شاتو

دو ڤيلبير! ويؤجر إلى زائرين غرباء في الصيف. سأتكلم مع مكتب السياحة بشأنه فإن لم يقبلوا به ولم أتمكن مزبيعه أهدمه.

- إنه قرار متطرف.. أليس كذلك؟

ضاقت عيناه بسبب نور الشمس وأصبح حاجباه الأسودان خطاً مستقيماً فوق عينيه.

- ولكنه عملي كيم.. فكري في هذا المكان كعمل تجاري.. على المزرعة وكروم العنب أن تدار بطريقة مربحة، ولا نستطيع إنفاق المال على مشروع خاسر فنحن بحاجة إلى أسمدة ومعدات جديدة وإلى علف وماشية للاستيلاد.. أيعجبك المنزل إلى هذا الحد؟

شدت قدميها على الأرض فتعالى الغبار الأبيض.

- لا.. جميل التفرج عليه أما السكن به فمضيعة [illegible] ذلك من المؤسف هدمه.

سخر منها: شعور عاطفي محض.. ولا من خلتك امرأة عملية! لقد خيبت ظني.

كانا يقتربان من الأبواب فأرادت كيم إنهاء الموضوع فلا شأن لها به ولا تريد أن تتورط أو تضيع الوقت في بحثه. أرادت أن تذهب إلى مكان تكون فيه بمفردها.. مكان خاص تستطيع فيه الاستغراق في تفكير عميق.

- إذن الأمر عائد إليك.

نظرت إلى ساعتها:

- يا الله! لا أستغرب إذن أن أكون جائعة عطشى فالساعة تكاد تبلغ التاسعة! لا شك الآن أن ڤيڤيان تظننا ضائعين

وانطلقت راكضة في الطريق الداخلية.

فيما كانت تغتسل وترتب نفسها للفطور حاولت أن تقرر ما يجب عليها أن تفعل.. ما تشعر به غرام عطلة وكثير من الناس يشعرون بمثل هذا في أوقات العطل ولكنه أمر لا يدوم! لبيراً رضيت عن مظهرها

فهرعت تنزل الدرج ومنه إلى المطبخ.. لم تكن ڤيڤيان هناك لكن لوران لوح بإبريق القهوة لها، حين هزت رأسها إيجاباً سكب لها كوباً التقطته بيد والتقطت بالأخرى قطعة كرواسان ثم سارت إلى النافذة لتنظر إلى الحدائق خلف المنزل.. أحست به يقف خلفها ويضع يده على كتفها ويجذبها بلطف إلى الوراء.. لكنها تشنجت فقال هامساً في أذنها:

- كيم.. أنت جميلة جداً..

ردت من غير أن تلتفت إليه:

- إنها طريقة غير جديدة للتقرب من المرأة.. أظن أنني أفضل الطريقة التي يقول فيها الرجل إنه يحبني لقدراتي العقلية.

كان كلاماً ناجحاً كزجر إذ شعرت به ينسحب.. ولكن عوض الإحساس بالنصر أحست بالبرودة والوحدة.

* * *

www.mktabah.com

٨ ـ تطلب الرحمة

بما أنه لم يكن لدى الولدين غير فترة بعد الظهر، وبما أن لا وسيلة نقل سوى الباص فقد قررا أن زيارة «بلوي» بعيدة المنال.. ولكنهما فتشا في كتيب الدليل لبختارا «شاتو لوبليسيه بوريه» الذي لا يبعد أكثر من ساعة. وبهذا لن يضيع يومهما.. تنفست كيم الصعداء حين رفضت صونيا الذهاب وقال لوران إنه مشغول حتى العشاء.

هذا يعني أن أمام كيم فترة بعد الظهر كلها تقضيها بمفردها، فهي لا تحسب حساباً لرفقة الولدين وعندما عرض لوران عليها استخدام السيارة الكبيرة أو «الفيات» الصغيرة رفضت قائلة:

ـ سنذهب بالباص.. قد أتعرّض إلى حادث آخر إن قُدت سيارة غريبة.. وإن كنت سأصطدم بشيء أفضل أن يحدث ذلك بسيارتي على أن لا يكون فيها أولاد.. أظنني فقدت شجاعتي.

هزت صونيا رأسها بحكمة:

ـ هذا ما يشعر به الكثيرين بعد الحادثة ولكن أفضل طريقة لمعالجة ذلك هي بالعودة إلى القيادة فوراً.

كتمت كيم غيظها:

ـ ما أسهل القول ولكن لم تتح لي الفرصة.. سنأخذ الباص من ڤيلبير فهذا آمن لنا.. لن أستطيع رفع رأسي إن تعرضت لحادثة أخرى!

لكن لم تكن فكرة قيادة سيارة غريبة هي التي تقلقها.. فلقد أحست بالتوتر منذ عاد الولدان من السباحة، وكانت مع لوران تنتظرهما

على طريق المنزل الداخلية.. رميا دراجتيهما وأخذ يبعثران المناشف وثياب السباحة في الطريق إلى غرفتهما.. في هذه المرة لم يعترض لوران على ما يفعلان بل ابتسم لها وقال:

ـ يا لهذا الحماس!

ـ وامرأة واحدة متوسطة العمر يرهقها العمل تنظف وراءهما.

راحت تنقذ المناشف لئلا يدوساها.. ثم مد يده إليها فأرسل رجفة إليها.

انتظرت كيم الولدين ليغتسلا ويرتبا نفسيهما ثم نزل الثلاثة إلى الغداء. كان واضحاً بالنسبة لها أن صونيا تكره الضجيج وإحداث الضرر وعدم الترتيب.. ربما هذا هو المسؤول عن القلق الذي يؤثر في كيم.. ففي صونيا شيء من المكر يحيط بها ولكن بعض الفوضى وعدم الترتيب من الولدين أمران غير كافيين لإثارة هذا الإحساس الضعيف الذي يظهر عليها.

لا تظن كيم أبداً أنها شخص وسواسي ولكنها غضبت من نفسها لأنها منزعجة من شيء ما تحس به وتظن أنها رأته.. عندما جلست إلى مائدة الغداء وصونيا في مواجهتها وهي بين الولدين ولوران راح ذاك الشعور بالقلق يتعقد ولكن ما إن تكلمت صونيا حتى راحت تلك العقد تنحل إنما بمفعول عكسي جعل قلقها يتزايد.

تكلمت والدة جان كلود بسخط وكأنها تكلم طفلاً يضيع وقته:

ـ أما زلت تلعب بذلك المنزل في المزرعة لوران؟ ألم يحن الوقت لتتوقف عن هذه السخافة؟ فمنذ سنة وأنت تعمل هناك بنفسك وليس لديك من يساعدك غير عامل من المزرعة.. إن هذا يكلفك ما لا تستطيع أن تتحمله.. حتام ستتابع هذا الهراء؟

كانت صونيا تتحدث بالفرنسية كالعادة ولكن كيم فهمت السبب فصونيا لا تدرك أنها تتكلم الفرنسية وتفهمها.. وهذه طريقتها لإجراء [illegible] خاص. تململت كيم في مقعدها وقد ازداد توترها.

رد لوران بجد ورضى :

ـ بضعة أشهر فقط . . في الواقع يمكننا أنا وجان كلود الانتقال إلى هناك في مطلع شهر أيلول ولكن شهر تشرين الثاني سيكون موعداً مناسباً أكثر من أيلول .

كان يرد عليها بالفرنسية وينظر إلى كيم محذراً . . ضحكت زوجة أبيه بصوت مثير رنان :

ـ تأخير إلى هذا الحد؟ أخبرتني فيڤيان أن المكان جاهز تقريباً، فماذا تنتظر؟ إذني؟

نظر لوران إليها فتوردت تحت نظرته :

ـ وهل هذا ضروري؟ لا . .

وابتسم ولم تكن ابتسامة تشبه شيئاً مما رأته كيم منه . إنها ابتسامة قاسية فيها شيء من الطرب . .

ـ . . . لا . . هذا غير ضروري مدام . . غير ضروري أبداً . لدي أسباب أخرى مختلفة كلياً وبسيطة . . في شهر أيلول يكثر العمل في كروم العنب وشحنها إلى التعاونية، ويجب أن تشارك مزرعة ديودونيه في النشاط العام، وفي تشرين الأول أنوي إجراء إصلاحات عامة وصيانة للآلات .

رفعت صونيا رأسها وأصدرت مواء قرف وكأنها شمّت رائحة سماد طبيعي :

ـ نشاطات زراعية! قل لي لوران أتنوي أن تجعل ابني فتى ريفياً . . . بالعمل الزراعي القذر في الحقول والكروم؟

تعالى الغضب في عينيه لكنه أجاب بهدوء :

ـ إنها حياة جيدة ملؤها العافية والصحة، ونظراً للوسائل الحديثة الممكننة ذهب العمل الشاق فاليوم الزراعة هي مهنة كأية مهنة أخرى، وهي أبعد ما تكون عن القذارة . أضيفي إلى ذلك أن جان كلود ابن مزارع وهذا يجري في دمه . .

قاطعته صونيا بغضب وراحت ترمي الكلمات بحدة :

ـ وهو ذكي أيضاً . .

ـ إذن سيكون مزارعاً ذكياً .

قالت وعدم الرضى يحولها إلى ثلج :

ـ وأنا؟ متى آتي لرؤية ابني . . ماذا عني؟ هل من المتوقع أن أقيم في ذلك المنزل الصغير، وروائح فناء المزرعة تحت أنفي؟

رد بغير اهتمام :

ـ بالطبع مدام . لن تجدي صعوبة في زيارة المزرعة مدة يومين .

ارتدت صونيا في كرسيها ولم تعد عيناها صافيتين . . بل تحولتا إلى حجرين يرسلان شرراً يشبه الحقد :

ـ إذن ستكون زياراتي قليلة إلى حد أن أفكر في اصطحاب جان كلود معي إلى باريس . . أرفض أن يحيا ولدي هذه الحياة . . مزرعتك وسمادك وغلالك ستخدر حدود المرح في عقله وسيصبح فلاحاً .

أحست كيم بالجسد الصغير إلى جانبها ينتفض فابتسمت له بسرعة . . تابع تناول طعامه ولكنها لاحظت أن عينيه فقدتا كل السعادة وأصبحتا بركتين عميقتين من البؤس .

قال لوران بحزم : «مستحيل مدام!»

فاستراح الطفل الجالس قرب كيم قليلاً .

ـ يستحيل أن يصبح فلاحاً ويستحيل أن تأخذيه إلى باريس . تعرفين أنني لن أسمح بهذا أبداً وأرفض أن نتشاجر بشأن هذا الأمر الآن فهذا يزعج أخي .

انتقلت صونيا إلى سبيل آخر :

ـ ومنزلي؟ ماذا تنوي أن تفعل به؟

ـ أؤجره، أبيعه، أو أهدمه . . وهذه مسألة خاصة لا يتم تباحثها إلا على انفراد . . هذا إذا كان هناك ما يوجب البحث . . أنا شخصياً لا أرى حاجة إليه أبداً . . جان كلود باقٍ هنا وسننتقل إلى المزرعة . أما المنزل

وكل محتوياته فستتخلص منها.. أما أنت فلك أن تفعلي ما تشائين.

أنهى كلامه بحدة وقوة بحيث لم يتكلم أحد بعدها.. في هذا الوقت كانت كيم جالسة تقول بينها وبين نفسها: ليتني لم أترك انكلترا وليتني لم أتورط مع هذه العائلة.. لقد حاولت إقفال أذنيها لكن الأمر كان مستحيلاً.. ومع أنها تكره الإصغاء إلى مشاكل الناس وخصوصياتهم، كانت تشعر بالغضب الذي يتنامى في داخلها مسبباً لها توتراً كبيراً.. ردت على نفسها ساخطة: من غير المناسب أن يولد طفل ليكون مدار نزاع.. خاصة إذا كان صبياً صغيراً حساساً كجان كلود.. وراحت تنظر من تحت رموشها إلى لوران وصونيا.. كيف يجرؤان على استخدام الطفل أداة في حربهما الخاصة.. كيف يجرؤان؟ انتبهت الآن إلى أن لوران لا يتكلم كثيراً مع زوجة أبيه ولا يتكلم عنها وهي غائبة.. بل يتصرف وكأنها غير موجودة!

وصونيا.. أم غير طبيعية.. فقد تذكرت حين تعثر جان كلود بأمه في المركب ولطخ ثيابها.. إنها لا تذكر أن أمها تصرفت على هذا النحو أبداً.

على أي حال إن أراد لوران وصونيا التشاجر بمسألة الصبي فليفعلا ذلك في غيابه أو بعيداً عن مسمعيه فمن الإجحاف استخدامه وسيلة للحصول على ما يريدان.. فهذا أكثر أشكال الابتزاز إثارة للسخط وأسوأها على نفس جان كلود، ولكم تمنت كيم لو تستطيع أن تضرب رأسيهما وتطلب منهما إخفاء شرورهما حتى يغادر الصبي الغرفة.

حركت كرسيها قليلاً وتركت يدها تستقر على يد جان كلود المنقبضة بشدة على ركبته.. وما كانت لتجرؤ على مثل هذه الإيماءة نحو غيل.. فكرامة ابن أختها لن تسمح له بقبول المواساة من امرأة ولكن جان كلود مختلف عن غيل.. كم أحست كيم بالراحة لأن الأصابع المشدودة استرخت تحت يدها.. ولكن قلبها تألم وهو يدير عينيه لينظر إليها ولاحظت أن ما فيهما يفوق عمره.

كانت صونيا صامتة الآن.. على وجهها نظرة مشاكسة لا تنبىء بمستقبل علاقات عائلية جيدة.. وحتى تتهرب من الوجبة التي أصبحت مملة نظرت كيم إلى ساعتها وشهقت ذعراً:

ـ سنضطر إلى المغادرة حالاً إذ لن ينتظرنا الباص. نعتذر منكما..

وأسرعت تبعد الولدين عن المائدة.

اتجها بالدراجات إلى ڤيلبير بصمت وتجهم. ووضعوا الدراجات خلف بركة السباحة، ولحقوا بالباص بمشقة.. كان «شاتو لو بليسيه بوريه» مكاناً صغيراً لطيفاً ليس فيه أناقة مصطنعة.. جلست كيم في الخارج على العشب أما الولدان فراحا يجوبان أرجاءه. أغمضت عينيها مستريحة على جذع شجرة صغيرة وراحت تفكر في لوران وزوجة أبيه وشجارهما على الولد وكم تمنت أن تقدم النصيحة للوران وزوجة أبيه.. ظلت تفكر في الأمر.. فهناك الكثير مما ترغب في قوله لهما.. وكانت تفكر حين جاء غيل وصاح في أذنيها:

ـ لم نفهم شيئاً! وليس لدينا سوى كتيب لجان كلود، وكله بالفرنسية.. فلماذا لا يفهمه هو؟

مدت كيم يدها فوضع الكتيب فيها.. كان الوصف الذي شمل الفصر لا يتجاوز العشرين سطراً وبعدما قرأتها فهمت السبب، وقالت ساخرة:

ـ إنه مكتوب بقلم أحد هؤلاء الخبراء وكلها أوصاف تقنية لا أفهمها بل يصعب أن يفهمها أي كان. كل ما استطعت فهمه ان الحياة في كانت أكثر من مريحة.. ولكن هذا هراء فلا يبدو لي مريحاً! اجلسا وتناولا مرطباً لقد وضعت لنا ڤيڤيان بضع علب «عصير».

شعرت أن هناك شيئاً ما مختلفاً بين الولدين وهذا عادة يعني المتاعب، متاعب من الأفضل أن تعالج قبل أن تحدث.

سألت بلهجة اعتباطية، وكأن لا أهمية للسؤال:

ـ فماذا بينكما؟

www.mazia.com

رفع جان كلود عينه عن العصير واقترب منها:

ـ لا أرغب في الذهاب إلى باريس مدام كيم.

قاطعه غيل بحزم:

ـ هذا صحيح.. جان كلود لا يحب باريس.

تعاطفت كيم معهما:

ـ ولقد قررتما القيام بشيء ما بهذا الخصوص على ما أعتقد.. من الأفضل أن تخبراني ما هو لنناقشه ولنرى إن كان عملياً.

وافق غيل: «حسناً.. يقول جان كلود إنه سيهرب ويختبيء حتى نعود إلى انكلترا على أن نصحبه معنا بالسيارة. إنها فكرة صائبة أليس كذلك؟ ولا أظن أن أمي قد تعترض خاصة بعدما تعلم ما..»

حافظت كيم على جدها:

ـ تخطيط سيء لأننا لن نعود قبل أسبوعين، وهذه مدة طويلة سيتمكن خلالها لوران من إيجاده. أين كنت تفكر في الاختباء.. في سقيفة صنع الفخار؟

قال غيل متجهماً فسقيفة صنع الفخار هي مكانه المفضل:

ـ نعم هو مكان لا مثيل له، إنما لا داعي للاختباء مدة طويلة.. إذ سيخرج من هناك حالما ترجع أمه إلى باريس.. وفكرنا أن يكون مخزن الغلال مكاناً مناسباً. لديه كيس نوم ومصباح له بطاريات وأستطيع نقل الطعام والأشياء..

هزت كيم رأسها بحزم:

ـ لا! ولا تنظرا إليّ هكذا وكأنني أخيب أملكما.. إذ سرعان ما يكتشف أمركما ثم ماذا سيحدث؟ أنت يا غيل ستعود إلى بلادك مرذولاً وجان كلود لن يتمكن من المجيء...

قاطعها ابن أختها:

ـ دعته أمي للإقامة عندنا وقت الميلاد.. وقد ذكرت الأمر في رسالتها التي تلقيتها هذا الصباح.. ولقد أريتها للوران الذي وافق على

ذهاب جان كلود..

ـ ولكنه سيغير رأيه إن قمتما بعمل غبي.. صدقاً غيل أنا لا أحاول وضع العصي في الدواليب أو إفساد الأمور عليكما، لكن هذا الاحتيال غير ناجح بل قد يكون له عواقب جسيمة.

ـ لكن إن تمكنت أمه من جره إلى باريس فسأضطر للعودة إلى بلادي فلن أستطيع الإقامة هنا بمفردي، ولا أريد الذهاب إلى باريس..

تنهدت كيم مجدداً ولم يكن لديها ما تقول.. لكن ما أضافته كان حازماً:

ـ أنا واثقة أن لوران لن يسمح بذهاب جان كلود إلى باريس.

قال غيل متبرماً:

ـ كل هذا لأنه غير متزوج.. إنه الوصي على جان كلود.. ولكن وضعه سيكون أفضل بكثير لو كان متزوجاً إذ لن تتمكن والدة جان كلود عندها من الادعاء بأن لا أحد يعتني به.

ردت بعناد: «ما هذا بشأن من شؤوننا! كنت أهم بالقول إن ذهب جان كلود إلى باريس ترجع أنت معي».

ـ لكن هذا لا يعتبر قضاء عطلة مع جان كلود وعندئذ لن أجد من أتكلم معه!

ـ اسمعا أريد منكما وعداً.. لا أريد أن تقدما على عمل غبي قد يزيد الأمور سوءاً. غيل إن تصرفت عن عدم تعقل فستتخذ والدة جان كلود من تصرفك عذراً لتأخذه معها.. وستقول إن تأثيرك فيه كان كبيراً وسيئاً.

لم يقتنع غيل.

ـ يقول جان كلود إن أجبر على الرحيل إلى باريس فسيهرب.. لديه مال كثير، فهو يخبيء خمسة آلاف فرنك نقداً في حشوة سترته ولقد خبأ جواز سفره، ذلك الذي حصل عليه حين سافر إلى اليونان في

رحلة مع المدرسة. يقول إنه آت إلى انكلترا رغم أنوف الجميع فلا أحد يعرف أنه يتحدث الإنكليزية.

شهقت كيم ومدت ذراعها تحتضن كتفي الصغير:

ـ لا جان كلود.. يجب ألا تهرب أبداً من أمور عليك مواجهتها عاجلاً أم آجلاً، فأنت بذلك لا تقوم إلا بتأخير الأجل.

نظر إليها بعينين سوداوين:

ـ وأنت ألا تهربين من شيء مدام كيم؟ حين قلت إن عليك الذهاب لم أفهم السبب لأن المكان هنا أفضل بكثير من [illegible] ثم سمعت لوران يقول إنك تحاولين الهرب.

سخرت كيم: «الهرب؟ ومم أهرب؟»

هز جان كلود رأسه:

ـ هذا ما تساءلت عنه.. ولكن لوران قال إنك تهربين من الحياة وهذا ما بدا لي سخيفاً، لأن الحياة باقية معك طوال الوقت.

يا لبراءة الأطفال..

فكرت كيم في كلامه وهي تجمع العلب الفارغة في الكيس وكانت تفكر في الأمر حتى وهم في الباص العائد إلى ڤيلبير.. لم تكن تهرب من الحياة بل تنسحب منها ببساطة لتعتني بذكرياتها وليكون لها فرصة للتنفس وللتغلب على صدمة الخسارة..

ربما تستطيع أن تجد الحب الذي عاشته مع إدي.. وهذا قد يعني الخروج والبحث عنه، لا الجلوس في المنزل والتأوه بحسرة وأسى.. فإدي كره دوماً البؤس.

الماضي مات وانتهى.. وإدي مات معه.. ولكن ما حدث ساعد في تشكيلها على ما هي عليه الآن.. ومن الأفضل أن تنحيه قليلاً على أن تنساه كلياً. ما إن اقترب الباص من ڤيلبير حتى عدّت ذكرياتها.. قرطين، بعض الصور، وساعة إدي.

بدأت تفك الحزام الجلدي من معصمها.

قال لوران لأخيه:

ـ أمك تتناول العشاء عند أصدقائها في «آنجير» الليلة..

كادت تنهيدة الارتياح التي أطلقها الصبيان تطفئان كل الشموع المضاءة في الشمعدان على الطاولة. ورفعت كيم رأسها عند سماع لهجته، ففي صوته فرق كبير إذ ذهب المرح الكسول والتناغم وحل محله الحزم وبدا وجهه مختلفاً أيضاً.

على أي حال تمكنت من رسم ابتسامة لطيفة على وجهها ثم رافقته إلى الصالون وهناك فتحت موضوعاً آمناً:

ـ أخذ جان كلود معه الكتيب الغلط فلم أستطع فهم رأسه من عقبه، وكان هذا خيبة أمل كبيرة لغيل. ربما تستطيع التعويض بحسن ضيافتك حين أرحل.

ـ أما زلت تنوين الرحيل؟

ـ أجل حالما تجهز سيارتي.. آه.. وإذا رافق جان كلود أمه إلى باريس..

ارتعش صوتها الهادىء قليلاً حالما رأت موجة غضب فج تخرج [illegible] لتشملها ولكنها أمسكت زمام نفسها، وأضافت برقة:

[illegible] الأمر بعد ظهر اليوم وأظن أن من الأفضل أن آخذ غيل [illegible]

[illegible] إليها: «تباحثت الأمر مع الولدين؟»

أجفلت.. فاليد التي وضعها حطت على كتفها واشتدت أصابعه عليها حتى كادت تصل إلى عظامها وأضافت بائزان:

ـ لم أناقشهما بمقدار ما ناقشاني ولكن لم أكن أعلم أن الأمور معقدة هكذا.

ترك كتفها وتوجه نحو خزانة جانبية، أخرج منها كوبين سكب فيهما بعض العصير:

ـ هكذا إذن..

www.liilas.com

وضع الكوب في يدها وقال آمراً:

ـ اشربي هذا. . أراك بحاجة إليه. . فعلينا أن نتكلم.

ـ شكراً. .

جلس قبالتها وترك رأسه يسترخي إلى الخلف بقلق:

ـ ما كان يجب أن نناقشهما في الأمر. . أنت الملامة على هذا.

تمتمت بقسوة: «عليك أن تشكرني لا أن تلومني، فالله أعلم ما كانا سيفعلانه لولا تدخلي. على أي حال هما من أنا. الموضوع لا أنا. . ولا تتكلم معي عن اللوم! إن أردت أن تلوم أحداً فلم نفسك وزوجة أبيك. كان بإمكانكما فعل أي شيء غير القتال على أطلاله أمام عينيه! ألا يفهم أي منكما نفسية الأطفال؟ لقد كان مستعداً لفعل طائش!

ـ عمل طائش. . آسف، لكن هذا جديد عليّ، فما قصدك؟

ـ الهرب. . وأعتقد أنك قادر على لوم غيل. . فهو ذو معنويات رهيبة ويمتلك حس الحماية تجاه الأولاد الأصغر منه سناً، وهو إلى [illegible] عاطفي.

نظر إليها لوران وتعبير «الملاك الساخط» محفور بعمق على وجهه الوسيم:

ـ لا. . كيم. . لن ألوم غيل. . لقد سبق أن قام جان كلود بهذا من قبل. . لقد هرب. ويومذاك دفع نصف شرطة باريس للبحث عنه. . كان في السابعة من عمره ولكنه تمكن من الوصول إلى هنا. . قد يكون غيل عاملاً مساعداً هذه المرة ولكنه بكل تأكيد غير مسؤول عن خطة أخي للهرب.

ـ ها أنت تعترف بهذا. . إن جان كلود غير آمن نفسياً، يحتاج إلى من يوضح له انه ليس قطعة جبن على منصة بيع يمكن نقله من مربع إلى مربع، أحب هذا أم لم يحبه.

نهض لوران عن كرسيه وتقدم إليها ووضع يديه على جانبي مقعدها:

ـ أراك شديدة الاهتمام بأخي كيم. . ولكن اهتمامك حقيقي أم زائف؟ ما أسهل أن نقول للناس ما عليهم القيام به. . ولكن هل أنت مستعدة لفعل شيء بنفسك؟ أعطيه الأمان ببقائك هنا وتزوجيني.

قالها بهدوء حتى ظنت كيم في البداية أنها أساءت فهمه. . ثم قالت بصوت حاد متقطع:

ـ أتزو. . جك! لست جاداً. أتزوجك بعد أسبوعين من التعارف. . لماذا؟ نحن تقريباً غريبان! أوه. . فهمت ما تعني. . هذه طريقتك لتقول لي بألطف طريقة ممكنة أنني طفيلية فاسدة وأن لا شأن لي في هذا أبداً. . وأنا أوافقك الرأي وأعتذر لأنني دسست أنفي فيما لا يخصني. . سأرحل غداً وشكراً لك على ضيافتك!

ـ لا تكوني حمقاء كيم. . أنا لا أعني شيئاً من هذا. . وأنا لا أعتقد أنك «طفيلية» وبإمكانك «دس أنفك» في ما شئت ولكن هذا التعبير لا يعجبني أبداً.

وقف يراقب وجهها عن كثب. كان المنزل للحظات في صمت [illegible] حولهما.

ـ أنت ترفضينني إذن؟

ـ فلنترك هذا الموضوع رجاء. دعني أغادر هذا المقعد. . أنا متعبة وأرغب في الذهاب إلى غرفتي. . لو سمحت.

نظرت نظرة ذات معنى إلى ساقيه المدببتين وجسده المزروع أمامها ليمنع عنها المرور.

سرعان ما ابتعد عنها. . واضح طريقها خالياً، لكن فيما كانت واقفة مترددة تحرك نحوها وطوقها بذراعيه. . رفعت نظرها إليه فرأت أن خطوط التوتر غادرت وجهه وعاد التعبير الذي تعرفه جيداً.

قال متمتماً:

ـ لولا وصول الشاحنة في الصباح لتطورت علاقتنا.

ـ إذن يجب أن نكون شاكرين للمقاطعة.

www.liilas.com

شدها إليه أكثر:

ـ لا تأملي بأية مقاطعة الآن كيم.. لن يحدث هذا.. فالولدان في الطرف الآخر من المنزل ووالدة جان كلود لن تعود قبل الفجر..

وضعت يديها على صدره ودفعته:

ـ أرجوك.. أنا أرفض كل ما توحي به. نعم لا أنكر أنك أفدتني في أمر ما، وها أنا بدأت أثبت قدميّ وأعتمد على نفسي للمرة الأولى منذ سنوات.. أترى.. أنا لم يكن لي شأن يوماً باتخاذ القرارات.. ولا أدري إذا كنت مستعدة لهذا أم لا.. إن أردت انتظرني سنة ثم اسألني هذا السؤال وإياك أن تتذرع بمصلحة جان كلود.. أدفع لك أرجوك، لأنني لن أرتبط برجل من أجل سبب كهذا.

ـ قادر أنا على جعلك تغيرين رأيك.

وكان في تهديده مرح جاف فنظرت إليه بجفاء:

ـ أعرف أنك قادر فلديك الخبرة، وأنا لا أملك إلا القليل.. إنما لا أظن أن التغيير سيكون في قراري.. قد تستجيب لك عواطفي ولكن..

ـ ألا تثقين بعواطفك؟

هزت رأسها بحزن:

ـ لا.. لا أثق بها..

تمتم لوران:

ـ وأنا من ظننت أن الإنكليز فقدوا الكثير من برودهم.

نظرت إلى وجهه القريب منها فرأت مسام بشرته. ثم نظرت إلى ذراعيه اللتين تضمانها.. تحركت قليلاً وأحست بروعة استنادها إلى جسمه الصلب. فجأة اغرورقت عيناها بالدموع.

همست: «دعني أذهب لوران. أرجوك، لا تدفعني إلى ما قد أندم عليه».

ـ أقادر أنا على ذلك؟

قالت:

ـ أجل.. تعرف أنك قادر وأنا أعرف هذا كذلك.. لهذا أطلب منك الرحمة.

أحست بشفتيه على شعرها. ورفع رأسه:

ـ اذهبي بسلام صغيرتي.

واسترخت ذراعاه من حولها.. وأصبحت حرة.

***

www.liilas.com

٩ ـ عندما تموت العيون

توقفت كيم في غرفة نومها مقطوعة الأنفاس خافقة القلب.. كان الجزء «المفكر» فيها مكتفٍ.. أما الجزء العاطفي فكان يبكي إحباطاً وألماً ولكن على هذا الشعور أن يمرّ وإلا جنّت ألماً وشوقاً.

تأوهت عالياً وهي تندس في الفراش.. على مشاعرها ألا تخذلها ثانية وهذا غريب لأنها لم تخذلها قط.

في الظلام.. استلقت تنتقد نفسها بقسوة وتكاد تصيح عالياً: حمقاء.. حمقاء.. حمقاء! وامتلأت غضباً مريراً من ضعفها.

ـ كيم! كيم!

أيقظها الصراخ فتحركت بكسل.. كان الوقت بعد الصبح حين غفت.. والآن الساعة.. نظرت إلى معصمها الفارغ.. الوقت متأخر.. فالشمس المتسللة ما بين صفائح خشب النافذة تسللت فوق الأرض والجدران.

صاحت ومزاجها عكر:

ـ ماذا هناك؟

يا إلهي! تحس وكأنها شبح وهي تبدو بلا ريب رهيبة.. ولكن صراخ غيل هو الذي أيقظها ولن يلاحظ شكلها كما ترجو!

دفع الباب وأدخل رأسه لينظر إليها متسائلاً:

ـ ألم تستيقظي حتى الآن؟

غمغمت غاضبة ساخرة:

ـ وهل يبدو لك هذا؟ ما بك، هل اشتعلت النار بالمنزل؟

ـ بالطبع لا يا سخيفة.. لكننا تناولنا جميعاً الفطور ولم يبق غيرك.. واحزري ماذا، أنت لم تعرفي هذا لأنك كنت نائمة.. كل شيء على ما يرام الآن، فقد جاء لوران ليرى جان كلود ويراني ليلة أمس بعد ذهابك إلى النوم فوجدنا مستيقظين نتحدث ونضع الخطط، وقال إن جان كلود باقٍ هنا.. قال إنه لن يسمح بأن يأخذه أحد إلى باريس.. وهذا أمر مؤسف بطريقة ما.. فقد وضعنا مخططاً رائعاً أفضل من الأول.

تأوهت كيم: «فليحمني الله من مخططاتكما!»

أردف غيل باهتمام من ينقل الأخبار:

ـ و.. والدة جان كلود راحلة اليوم. لقد أمرت بإحضار سيارتها من الكاراج.. إنها «بورش» حمراء. كم أحب التنزه في سيارة بورش!

ـ أعتقد أن والدة جان كلود تهتم كثيراً بسيارتها لذا لن تسمح لولد مثلك بالاقتراب منها.. هيا الآن.. ابتعد من هنا وثرثر في مكان آخر.. سأغادر السرير، قل لڤيڤيان أن تمهلني عشر دقائق..

وانقلبت تنبطح على وجهها..

ـ سأحمل إليك فنجان قهوة إذا أحببت.. ماذا تريدين معه؟

تمكنت من الابتسام:

ـ لا شيء! لا تزعج نفسك! سأنزل بعد وقت قصير، والآن اذهب من هنا!

ما إن خرج حتى جرت نفسها إلى الحمام، وبعد الاستحمام عادت إلى طاولة الزينة حيث جلست تتبرج. لم يكن السبب رغبتها في إظهار جمالها بل لتغطي آثار القلق. بعد ذلك مشطت شعرها وعقصته إلى الخلف كالعادة برباط مطاطي.

كان لطعام ڤيڤيان البسيط واللذيذ أثره فيها. نظرت إلى صورتها بعدم رضى.. هذا الجينز الذي سافرت فيه من انكلترا ولم ترتده منذ

الحادثة أصبح ضيقاً عليها. لكن يجب أن ترتديه.. دست قدميها في خف مسطح ونزلت إلى الطابق السفلي حيث تفاجأت برؤية صونيا تنتظر في أسفل الدرج.

ابتسمت كيم لها وتمتمت اعتذاراً عن تأخرها على الفطور فألقت صونيا نظرة على ساعتها الصغيرة الأنيقة وقالت:

ـ أجل.. أعتقد أنك تأخرت. تعالي إلى الصالون.. سأطلب من ڤيڤيان أن تحمل إليك القهوة.. أنا عائدة إلى باريس ولكن علينا أن نتكلم قبل رحيلي.. لا.. أنا مصرة. على أي حال لم نتعارف بشكل جيد.. أليس كذلك؟ تعالي.

دست صونيا يدها تحت إبط كيم بلطف ثم أبعدتها بحزم من منطقة المطبخ إلى غرفة الطعام:

ـ طالما اعتدنا تناول الفطور هنا.. هو أجمل وفيه نستطيع التكلم ومناقشة الأمور اليومية التي مرت بنا، ولكن هذا أمام ڤيڤيان مستحيل.. من يعيش في مجتمعات صغيرة يميل إلى الثيل والقال.. ألا توافقينني الرأي؟

جلست كيم في مقعدها المعتاد:

ـ لم أعش في مجتمع منها.. أعني المجتمعات الصغيرة.

راقبت صونيا وهي تشد حبل جرس.. لم يكن في المدفأة نار هذا الصباح.. وكان كل شيء يبرق حتى الزهور بدت مختلفة. والغرفة عابقة بشذى الورود المخملية الحمراء..

نظرت صونيا إلى كيم بتفهم:

ـ آه.. أما أنا فلم أترعرع في مجتمع صغير، بل في مجتمع مغلق كلياً.. كان والدي يعمل في وظيفة رسمية وقد تبوأ مركزاً مسؤولاً لذا كان عليه أن يحسن اختيار الخدم والأصدقاء وأن يكون حذراً.

حاولت كيم ألا تظهر سأمها:

ـ أجل.. أخبرني غيل أنك راحلة اليوم.. وطالما تساءلت عما إذا

كانت الحياة في باريس شبيهة بالحياة في لندن.

فشلت في محاولتها لتغيير دفة الحديث إذ كان عقل صونيا مشغولاً كلياً بـ «ديودونيه» فقط، لذا لن نتحدث عن الحياة الباريسية.

ـ تبدين شاردة الذهن قليلاً هذا الصباح كيم.. فهل لجأ لوران إلى حيله المعتادة؟

ادعت كيم الدهشة:

ـ حيله المعتادة؟ لا أفهم قصدك.

ابتسمت المرأة الأكبر سناً بلطف وتفهم:

ـ أوه.. هيا الآن!

شعرت كيم بأنها تمارس لعبة الهر والفأر.

ـ لقد عرفت لوران منذ زمن طويل.. وكما تقولون أنتم الإنكليز، لا يغير الفهد جلده المرقط.

من حسن حظ كيم التي لم تكن مستعدة لهذا الهجوم المفتوح أن ڤيڤيان دخلت في هذه اللحظة حاملة صينية قهوة وطبق كرواسان.. فيما راحت كيم تسكب القهوة أخرجت صونيا سيكارة وضعتها في مبسم طويل، وأشعلتها بقدّاحة شبيهة بعلبة السجائر المذهبة. عندما أقفلت ڤيڤيان الباب وراءها نظرت صونيا إلى كيم عبر غيمة دخان وكان في عينيها نظرة شفقة، فأحست كيم باللون الأحمر يتسلل إلى خديها.

قالت صونيا: «أجل.. أرى هذا.. إنه عفريت.. إنما هذه حاله دوماً.. أذكر أنني وجدته عفريتاً للمرة الأولى يوم جئت إلى «ڤيلبير» ولكنني على عكسك كنت صغيرة جداً، فتاة حسنة التربية غير معتادة أبداً على الرجال.. فأطاح بي عن قدميّ بسهولة».

ارتشفت كيم قهوتها وحاولت أن تُظهر التفهم والتعاطف.. كانت تتساءل بينها وبين نفسها أكانت صونيا يوماً بريئة؟ تشك في ذلك فمن ينظر إليها الآن لا يصدق هذا، فلهذه المرأة التي تكبرها ببضع سنوات مظهر من ولد وهو يعرف كل شيء! من ناحية أخرى حاولت كيم أن

www.alraza.com

تكون عادلة في تفكيرها فقد تكون مخطئة بالانجراف وراء رأي شخصي آخر.

لاذت كيم بالصمت بانتظار أن تكمل المرأة ما تريد قوله.

ـ كنت صغيرة جداً بالطبع.. وأعتقد أن عقلي ضاع ليس بسبب لوران فقط بل بسبب شبان آخرين في بلدة صغيرة مثل «فيلبير».. كنا حبيبين أنا ولوران.. تفهمين هذا.. ولولا ذهابه إلى الخدمة العسكرية لتزوجنا ولكنه ابتعد ونسيني. أوه.. لا تشفقي عليّ.. فهو أيضاً كان صغيراً.. وأعتقد أن حريته المولودة حديثاً أثرت في عقله.. لم يراسلني ولم يرجع إلى المنزل في إجازاته.. ثم، وبعد ثلاث سنوات، لم يصلني خلالها حتى بطاقة بريدية منه تزوجت والده. كانا متشابهين كثيراً.. كان راوول نسخة أكبر سناً من لوران. نعم لا أنكر أن روعة الشباب كانت قد رحلت عنه ولكنني كنت راضية وأحببته بجنون، واشترى لي هذا المنزل قائلاً إنني جوهرة تستحق مكاناً أفضل من تلك المزرعة العتيقة.

هزت كيم رأسها بتفهم وارتشفت المزيد من القهوة على أمل ألا تطول القصة فقد ذكرت صونيا أهم جزء في القصة «أنهما كانا حبيبين».

ـ ثم بعد أربع سنوات عاد لوران، وأدركت فداحة غلطتي لأننا لم ننس الحب الذي كان بيننا وقد عرفنا هذا ما إن التقينا مجدداً.

أطفأت صونيا سيكارتها في منفضة فضية ونظرت إلى كيم التي تشعر بعدم الراحة.

ـ لسنتين تقريباً.. أخفينا حبنا.. كنا في غاية التكتم ولكن راوول عرف ولا أدري كيف عرف.

أحست كيم بتيار أسود يجرفها إلى نوع من الهستيريا الساخرة. ولكنها سحقت كل هذا الإحساس خلف وجه صارم وانتظرت التصريح التالي بصمت.

ـ غضب راوول كثيراً ولكنه لم يلمني لأنه يعرف ابنه أكثر من أي شخص آخر.. وقام لوران بالشيء الوحيد الممكن.. رحل.. ثم ولد جان كلود وعدت أنا وراوول إلى سعادتنا مجدداً، ولمّا بلغ جان كلود السابعة من عمره أصيب راوول بنوبة قلبية ولم يكن هناك أحد يساعدنا.. لا أحد يحس بديودونيه كما كان يحس بها.. لذا أرسل بطلب لوران ليعود ويديرها.. وهذا ما أزعجني كثيراً. كنت خائفة ولكن لم يكن لمخاوفي أساس، ففي هذه المرة تصرف لوران بطريقة لائقة.. وعمل جاهداً حتى التأم الشرخ بينه وبين أبيه.. لكن هذا لم يدم طويلاً إذ تعرض راوول لنوبة أخرى كانت القاضية.

تمتمت كيم تعاطفاً.. فأردفت صونيا بحزم:

ـ لكن.. يجب أن أشرح الموقف الحالي.. كان زوجي مقعداً في السنوات الأخيرة من عمره وكان الماضي يزعج ضميره.. قبل موته أوصى لي بنفقة قليلة وأوصى لجان كلود بأخرى، أما لوران فخصه براتب مدير المزرعة ولم يورثه المزرعة بل اشترط حتى يرث لوران المزرعة أن يتزوج ويرزق بابن وإن لم يتزوج وينجب ولداً يذهب كل شيء لجان كلود.. كما ترين يعود كل شيء إلى المصير نفسه في النهاية!

ـ المصير نفسه؟

انهمرت الدموع من عينيها:

ـ أجل.. ويجب أن تفهمي كيم.. ليس باليد حيلة، لا نستطيع أن نتزوج وكل حياتنا ألم، خاصة الآن وقد سلبني جان كلود وجلبه إلى هنا.. لقد حطم قلبي، خسرت كل شيء، ابني، زوجي، وبيتي..

سجلت كيم الصدمة غضباً.. وضحكت صونيا ضحكة تثير الشفقة.

ـ حاولت الابتعاد عنه لكن جان كلود كان يصلني دائماً به.. والواقع أنني ما زلت أحب لوران.. هل صدمتك بهذا كيم؟

أنكرت كيم أية صدمة وهي مضطرة لهذا. على أي حال لم تكن تحس بالصدمة، بل باشمئزاز كبير وكأنها قلبت حجراً نظيفاً دافئاً لتجد تحته أشياء مقرفة، قذرة، عفنة.. أشياء ليتها بقيت مدفونة. لقد كانت قصة مقرفة.

مسحت كيم يديها في سروالها وقالت بصوت هادىء أدهشها وأعطاها الثقة بالنفس:

- لا أفهم لماذا تخبرينني بكل هذا مدام، فما أنا بأكثر من ضيفة..

ضحكت صونيا ضحكة مجلجلة قاسية:

- لا.. أنت لست ضيفة فحسب كيم.. عرفت أن لوران عاد إلى ألاعيبه.. تعرفين مارسيل؟ إنها طفلة حلوة وتظن أنها تحبه.. ولكنها أصغر منه بكثير وهو يعاملها بلطف لأنه يعرف هذا الواقع. اتصلت بي فأنا صديقة لوالدها الطبيب وأظن أنها اعتقدت أن بإمكاني مساعدتها.. وما إن أدركت أنك قد تكونين عرضة للخطر حتى جئتك بسرعة فمن واجبي تحذيرك.

نحّت كيم فنجان قهوتها جانباً ووقفت.. كانت مغلفة كالعادة بطبقتها الجليدية المعتادة:

- شكراً لك.. مدام. أنا راحلة اليوم أيضاً. لقد وضبت حقيبتي وأنا بانتظار سيارتي، أتمنى لك رحلة مريحة إلى باريس.

خرجت بخطوات ثابتة مع أن ركبتيها كانتا هشتين أما عقلها فلم يكن يفكر في سوى أمر واحد.. لوران وزوجة أبيه ما زالا متحابين. وهذا فسق ما بعده فسق.. ثم لمّا وصلت إلى أسفل الدرج تحول قرفها إلى غضب عنيف.

ليلة أمس نعتت نفسها بالغبية ولكن الغباء كلمة ضعيفة.. كان يجب أن تقول «معتوهة» أو «مختلة».

فليستمر هو وصونيا في علاقتهما القذرة فهي تاركة هذا المكان قبل أن يطالها الفساد.. الآن تفهم عدم توازن جان كلود، فالأولاد

دقيقو الملاحظة عادة ولا شك أن لديه فكرة عما يجري. يا للولد المسكين!

أما صونيا ولوران فلن تشفق عليهما أبداً.. يا رباه! كادت تقع في فخ لوران! هزت رعشة جسمها النحيل فارتقت الدرج كالعمياء وكانت عيناها مغرورقتين بالدمع والغضب والقرف.

في غرفتها أحكمت إقفال الحقيبة وفيما كانت مشغولة الفكر سمعت صوتاً ما أزعجها. تقدمت إلى النافذة فرأت صونيا تغادر. إذن رحلت حتى بدون أن تودع جان كلود.. أهذا هو حب الأم لوليدها؟ ترى كيم أن صونيا لا تحب إلا ذاتها.

أبعدها طرق خفيف عن النافذة ثم نادت: «أدخل».

ظنت أن غيل هو الطارق، وكانت تفكر أتتركه هنا أم تأخذه معها بعيداً عن هذا المكان الذي يجري الظلام والشر في باطنه. ولكنها لا تتوقع من صبي في الثانية عشرة من عمره أن يفهم حتى ولو شرحت له الوضع بكلمات واضحة.. على أي حال كيف لها أن تخبره قصة كهذه؟ إنها لا تناسب أذنيه أبداً.

انفتح الباب ولم تلتفت ولكنها عندما سمعت صوت لوران انتفضت وارتدت بحدة لتواجهه بوجهها مشدود من الكراهية والقرف.

بدت عليه الدهشة وهو يرى الكراهية والاشمئزاز في وجهها.

- أتوضبين حقيبتك؟

ردت باقتضاب: «أجل».

وارتدت إلى الحقيبة فلمّا أحست بيده على كتفها انتزعت جسمها انتزاعاً وكأنها ستصاب بعدوى من لمسته.

- سأرحل ما إن أتكلم مع غيل.. هل عاد وجان كلود من المسبح؟

- لا.. لكن لماذا تريدين الرحيل فجأة؟

تقدم إليها فارتدت خطوة أخرى إلى الوراء.

- ابتعد عني.. لا تلمسني!

ارتفع حاجباه: «لا ألمسك؟ ما الأمر؟»

سخرت من سؤاله بصوت ملؤه الاشمئزاز:

ـ ما الأمر؟ أنت تسألني ما الأمر؟ سأخبرك! لقد أوضحت لي زوجة أبيك كل شيء بأفضل طريقة.. لم يكن حديثاً بمقدار ما كان ضربات متلاحقة من السرد لآخر التي عشرة سنة من عمرها.. ولم تكن توضيحاً لما أجهل بمقدار ما كان وصفاً كريهاً لواقع بغيض.. أشعر وكأنني وقعت على وجهي في شيء قذر وأنني لن أشعر بعد الآن بالنظافة.

راقبت وجهه يتحول مرة أخرى إلى وجه [illegible] ولاحت النظرة القلقة في عينيه:

ـ فهمت.. لقد استمعت إلى سموم وسرعان ما [illegible] عقلك تظنين أنها الحقيقة كاملة وترفضين الإصغاء إلى القصة من وجهة نظري أنا.

صاحت: «ولماذا أطلبها؟ أفضل أن أعتمد على حدسي.. وهذا ما كان يجب أن أفعله أصلاً.. أترى.. كنت على حق! منذ البداية وجدت المكان غير مناسب لغيل، وكنت على حق!»

ـ غيل! تدعين أن هذا كله كان من أجل غيل؟ حتى في هذا لن تكوني صادقة؟ لا شأن لبقائك هنا بغيل. أنت الآن تتمسكين بأي عذر لتقفلي راجعة إلى مخبئك، وكان هذا العذر تصديقك لأكاذيب صونيا أو ادّعاء التصديق. ما كان يجب أن تخرجي إلى العالم كيم.. كان عليك حبس نفسك في دير لتكوني آمنة من الحياة الحقيقية.

صاحت بغضب: «أنا لا أدعي شيئاً.. لقد أخبرتني صونيا الحقيقة.. ما من امرأة تخترع قصة كهذه.. لقد رأيت وجهها وهي تحدثني.. وكم كانت خجولة من نفسها».

صاح في وجهها: اهدئي! أتريدين أن يسمعك الجميع؟

ـ فليسمعوا لا أهتم. أنا لا أفعل ما أخجل منه.. أوه.. إنه هذا

المكان.. هذا المنزل لم أحبه قطّ.. والآن عرفت السبب.. إنه مشبع بالانحطاط وأنت وهي من جعلاه منحطاً.. لا أستغرب أن والدك أبعدك عنه.. بل العجيب أنه عاد وسمح لك بالاقتراب منه! لقد أغويت فتاة بريئة، ولم تكتف بهذا بل تجاهلتها لسنوات، ثم تجرأت على العودة وأقمت معها علاقة مع أنها أصبحت زوجة أبيك.. وكنت على حق بشأن جان كلود.. إنه ابنك، لقد اعترفت صونيا بهذا! يا إلهي.. ما هذا الدَرَك الذي وصلت إليه؟

تمتم بصوت خفيض وعيناه تشتعلان غضباً:

ـ آه كيم! اسمعي بيننا شيء ما.. أتريدين أن أظهر لك كم هي قوة هذا الشيء؟ وهو ليس من جانبي فقط.. لقد أردتني كما أردتك ولا يمكنك النكران.. لكن كان عليّ لعب دور البطل.. ألم أفعل؟ فليكن للسيدة الكلمة الفصل.

رفعت كيم ذقنها سخرية:

ـ ما كنت لتنال مني ما تريد!

التفت ذراعاه حولها، واشتدتا حتى كادت تعجز عن التنفس:

ـ؟

حاولت المقاومة ثم استرخت في أحضانه.. لا جدوى من المقاومة.

قال ببرود: «افعل ما تشاء فلست أملك قوتك الجسدية لأمنعك. هيا.. أرض غرورك».

تردد لحظة ثم ما لبث أن استرخت قبضته وأصبح ممسكاً بها بخفة بذراع واحدة أما اليد الأخرى فارتفعت إلى وجنتها.

ـ لا.. كيم.. ألم أقل لك إني لا أجبر امرأة على شيء؟ سنتبادل كلمات الوداع ثم سأتصل بالمزرعة ليحضروا لك سيارتك التي ما يزال طلاؤها رطباً.. لكن يجب أن تتأخري لتودعي الولدين. وتعرفين أهمية هذا فأنا لا أريد أن أعطيهما تلميحاً عما جرى هذا الصباح..

www.liilas.com

يجب ألا يشكا في شيء بل عليهما أن يظنا أن رحيلك تحصيل حاصل.

تمتمت: «وكأنني سأفعل غير هذا. ماذا تظنني، صونيا أخرى؟ سأعود لاصطحاب غيل صباح السبت المقبل.. لدينا حجز على الباخرة المسائية من «لوهافر» وأعتقد أنك تستطيع أن تشغل نفسك بالمزرعة، أو بشيء ما».

ـ إذا كانت هذه رغبتك.

هزت رأسها مؤكدة فابتسم ابتسامة ملؤها السخرية:

ـ أما الآن وبما أننا قد لا نلتقي ثانية فاسمحي لي أن أودعك على طريقتي.. بإمكانك الاغتسال فيما بعد إذا أحسست بالقذارة بسبب عناقنا.

توقفت يده عن مداعبة خدها.. وانخفضت لتمسك وجهها.. وقال هامساً:

ـ أورڤوار صغيرتي..

وكان في عناقه رقة مرّة، وعندما رفع رأسه كارهاً وجدت كيم نفسها تبكي بشدة والدموع تتدفق على خديها.

سمعت صوت الباب وهو ينغلق ووقفت مسمرة.. إذ شعرت وكأن شيئاً ثميناً انكسر. مسحت بيد مرتجفة عينيها.. بعد ذلك غسلت وجهها وزينته لئلا يبدو عليه أي شيء. ثم رسمت ابتسامة لطيفة على وجهها ولكن عينيها كانتا ميتتين كعيني لوران.

* * *

١٠ ـ بإذن الحب

التقطت جبني حياكتها، وأشارت برأسها إلى الغرفة فوق:

ـ حسناً.. نستطيع أن نتكلم الآن.. نام غيل أخيراً. يا للولد.. خلته لن يغفو أبداً.. كيف كانت آڤينيون؟

مالت كيم في كرسيها وتمنت لو أوصلت ابن أختها ورحلت إلى لندن مباشرة بدل قبول دعوة أختها للمبيت ليلة:

ـ صحراء.. لم يكن فيها شيء.

نظرت إلى الساعة الجديدة التي هربتها بخوف شديد عبر الجمارك.. إنها ساعة رقيقة وهي عكس ساعة إدي. حين تعود إلى شقتها ستجلب علبة تضع فيها القرط اليتيم وساعة إدي مع الصور وتضع فيها كذلك لوران..

تمتمت:

ـ أنا متعبة.. أتعترضين إن ذهبت إلى الفراش؟

قالت الأخت بعزم:

ـ أوه.. لا.. لن تذهبي.. لن تهربي مني هكذا! فيك شيء مختلف وأريد أن أعرف ما هو.. ومن الأفضل لك أن تخبريني به حالاً، وإن امتنعت نققت عليك حتى تخبريني!

قال كيم بشيء من المرح:

ـ العائلة مزعجة.. ليس فيّ ما هو مختلف، أما ما ترينه فهو من وحي خيالك.

قالت جيني بشدة للحظات:

ـ هذا غير صحيح.. هيا كيم، تبدين كما بدوت يوم مقتل إدي، وكأنك خسرت العالم أجمع.

حاولت كيم إظهار المرح:

ـ حسناً يا مزعجة.. طرحت السؤال وسأجيب عنه..

شخرت جيني سخرية ثم حاكت بضع قطب أخرى، ولكنها ما لبثت أن رمت الإبرة والصوف على الأريكة قربها، وقالت:

ـ لا يتعلق الأمر بـآثينيون.. لذا يجب أن يكون متعلقاً «بديودونيه».. وأظنه يتعلق بلوران ذاك.. هل وقعت في حبه؟

أحست كيم بتعب شديد وبفراغ كبير:

ـ رجاء جيني.. لا تسأليني.. لا أريد التكلم عن الأمر.

مدت أختها يداً متعاطفة:

ـ أخبرني غيل أنه رائع.. وهذه الشهادة من ابني إطراء كبير.. ما الذي حدث حبيبتي؟ هل تقدم منك بقوة.. أم أنه لم يتقدم البتة؟ أعني.. هل غازلك أم لا؟

ردت بحسّ متخدر: «بلى.. غازلني.. لكن..».

ـ.. تغاضيت عنه؟ أوه كيم، أنت حمقاء! كان سيفيدك.

ـ يفيدني؟ جيني.. هل فقدت عقلك؟ لم أتوقع منك قط أن تدافعي عن علاقة حب عابرة! انتظري حتى أرى ويليام، لأخبره إلى أي الدركات وصلت!

ضحكت جيني: «تفكير قذر.. يصيب المرء عندما يوشك أن يبلغ الأربعين. يبدو وكأنك لم تنامي جيداً منذ أسابيع بل أراك منهكة في الواقع ولا تضعي اللوم على الرحلة فلن أصدقك. أخبري أختك جيني كل شيء حبي.. لا أطيق رؤيتك على هذه الحال».

أغمضت كيم عينيها فانعكس لهيب النار على وجهها ثم بدأت تخبرها، لم تنو إخبارها كل شيء ولكنها بطريقة ما جلست في الغرفة

الصغيرة ما يقرب من عشرين دقيقة وتكلمت بثبات، أخبرتها كل شيء حتى قصة صونيا.. كانت تتكلم وكأنها تكرر سرد كتاب قرأته وكأن الأمر لا يعنيها.. في النهاية أحست أنها مستنزفة، حتى من الألم.

وهمست: «أظنني أحبه.. لم أكن أريد، ولم أقصد الوقوع في حبه لأنه لا يستحق حبي.. ولا أريد حباً كهذا.. إنه مؤلم كثيراً».

كانت جيني قد عادت إلى حياكتها وأنهت الصف قبل أن تتكلم:

ـ إنها مدة حمل طويلة.. تستحق التسجيل في كتاب «غينيس».

رفعت كيم رأسها:

ـ هه؟ لم أفهم.. اشرحي لي.

ـ كيم.. لقد كنت متزوجة ومع ذلك ما زلت ساذجة. أشعر برغبة في ضربك! قلت إنه كان مبعداً.. عامله أبوه بالقول القديم «اذهب ولا تطرق باب داري مجدداً» قلت إنه بقي مبعداً عشر سنوات مع ذلك حين عاد كان جان كلود في السابعة من عمره.. هل فهمت الآن؟

ـ ربما أخطأت.. فذاكرتي ليست أفضل من ذاكرة أي شخص آخر.. وعلى أي حال..

صاحت جيني تؤنبها ساخرة:

ـ ثلاث سنوات! حبيبتي.. أنت مخدوعة! لا شك أن تلك المرأة فاسقة فاجرة فإن كذبت في شيء واحد فهذا يعني أنها قد تكذب في كل شيء. تلك قصة لا تصدق أبداً.. لا أعتقد أنني صدقت كلمة منها.. ربما هناك ذرة من الحقيقة في مكان ما.. ربما كان بينهما شيء في صغرها، ولكنني أراهن أن ذلك الصبي هو شقيق لوران.. أما ما تبقى من القصة فأحتاج إلى أكثر من رشة ملح لأبتلعها. ثم ماذا عن ذلك الحب الذي لا يموت؟ فمما أخبرتني به أجد أن تلك المرأة من النوع الذي لا يحب إلا نفسه.

هزت كيم رأسها ترفض أن تقتنع:

ـ لكنه لم ينكر.

ـ حسبما قلته لم ينكر شيئاً . . بالنسبة لي هذه نقطة في صالحه .

ـ إنها الوحيدة تقريباً، وبما أن كل شيء انتهى فلا أرى سبباً لمناقشة الأمر .

وقفت كيم وابتعدت إلى السرير .

أخرت كيم انخراطها بالحياة عدة أسابيع . في هذه الأثناء راحت تجوب شقتها والفراغ يسيطر عليها . وضعت صندوق ذكرياتها بعيداً . . الماضي انتهى . تلقت عرضاً لعمل مؤقت في مدرسة للبنات . لم تكن راغبة في هذا العمل لكنه كان بمثابة خلاص لها من الجدران الأربعة ومن أفكارها .

ما إن بدأت العمل حتى اكتشفت لها أحبته . . أخيراً وجدت أن الجميع حيّ ومشغول بشؤونه ولا يزعج نفسه بشؤونها . الأولاد طيبون معها .

انتهى شهر أيلول وجاء تشرين الأول فتساقطت فيه أوراق الأشجار الصفراء . . ثم انتهى تشرين الأول وبدأ تشرين الثاني، وقبل أن تدري كان الجميع يتحدث عن الميلاد ويضع لخطط والتحضيرات . . أثرت زحمة التسوق بها فأمضت ساعات تفكر في ما ستهديه لجيني وعائلتها ثم اختارت البطاقات المناسبة وقضت أسياتها في الخارج . . بدا لها أن الناس يتوقعون هذا منها . . على أي حال الجلوس وحيدة في الشقة يجعلها كئيبة ويزيد من حزنها . . كان الألم قد خفت وتيرته ولكنه كان دائماً معها .

لم تطلب وما أرادت الوقوع في الحب . . ولكن الحب لا يستأذن أحداً . راحت بالتدريج تتعلم الوقوف بمفردها واتخاذ القرارات بنفسها، الماضي ولى وأمامها المستقبل ولكنها تساءلت لماذا لا تجد سعادة في هذه الفكرة!

اتصلت جيني بها قبل الميلاد بأربعة أيام :

ـ وصل جان كلود . . وسنسافر جميعاً إلى «وست روس» غداً . .

هل ستكونين وحيدة؟

لم ترد كيم . . بل سألت :

ـ هل ذهبتم لإحضاره من العبّارة؟

ضحكت جيني : لا . . بل أوصله أخوه إلى المنزل . ويجب أن أعترف يا حبيبتي أن ذوقك رفيع . . لولا ويليام الذي ما زلت أحبه لوقعت في حب لوران .

ـ وهل مكث طويلاً؟

أمر رهيب . . هذا الشوق إلى معرفة كل التفاصيل عنه . توردت كيم خجلاً من إحساسها بالحاجة لرؤيته .

قالت جيني ببرود :

ـ ليلة واحدة فقط . . قال إنه مضطر للعودة إلى العمل . . ثم أخبرني أنه انتقل للسكن في منزل المزرعة . . يا للرجل المسكين! أحسست بالأسى عليه . . إنه وحيد في الميلاد فلا أحد معه حتى أخيه . . أوه . . على فكرة، استلمت الأشياء التي أرسلتها وأنا أحرسها دائماً . أراك في الأسبوع الثاني من كانون الثاني . . ستتمكنين ساعتئذ من قضاء بضعة أيام معنا، أليس كذلك؟

قطعت جيني المخابرة بينما كانت كيم تحاول مداواة مشاعرها المجروحة .

شقيقتها آسفة على قضاء لوران عيد الميلاد وحده . . أما لها فلم تقل إلا «لن تكوني وحيدة» هذا ظلم . . بعد عشاء منفرد دخلت إلى الفراش لتفكر في هذا . . لم تصلها أية رسالة من لوران . . لقد نسي أمرها وهذا ظلم كذلك . . خاصة وهي عاجزة عن نسيانه .

في منتصف الليل استيقظت على قرار لا يتعلق بما ستفعله بل بما تحسه أيضاً . إنها تحس ببأس وتتوق إلى الاكتفاء من حبها . . ولا يهم أن يكون من تحبه بصفاء الزنبق . قد يكون لوران كما ادعت صونيا، ربما كان حباً غير حكيم ولكنها لا تحب بحكمة من رأسها . . هو حب قلبها

www.mazna.com

وكيانها كله.

قد يكون لوران أسود كالخطيئة أو أبيض كالثلج فليكن ما يشاء لأنها لا تهتم أبداً! نعم ستذهب إليه وتعترف له بذلك. لكن ستذل إن رفضها.. إنما الإذلال أفضل بكثير من حالة اللاشيء المملة.. تستطيع التغلب على رفضه وستكون هذه فعلاً النهاية، وستقلب الصفحة وتبدأ من جديد.

عندما توصلت إلى هذا القرار.. كان الفجر قد بزغ، فخرجت من السرير وأشعلت مدفأة الغاز وأعدت فنجان شاي وجلست تحتسيه على بساط أمام النار وهناك بدأت تضع خططها.. ستسافر جيني غداً باكراً.. ستحاول أن تبتعد شمالاً قدر المستطاع في أول خطوة من رحلتها، وربما تصل «انڤيرنيس». نظرت إلى ساعتها والتقطت الهاتف.

ردت جيني:

ـ أوه.. كيم.. هذا أنت.. ظننت لبرهة أن إجازة ويليام ألغيت.. أسرعي عزيزتي كنا على وشك الانطلاق..

ـ أنا ذاهبة إلى فرنسا.

ـ لإنهاء أعمال ما تزال عالقة؟

ـ يمكنك أن تقولي هذا.. فكرت في إخبارك حتى إذا ما اتصلت بي في الميلاد ولم تجديني.. آه! لا أدري.. إن كنت أقوم بما هو صائب..

ـ وهل يهم؟ أنت تقومين بشيء ما.. وهذا أفضل من لا شيء فإن لم يكن ما تريدين فأريدي ما يكون.. حظاً سعيداً أختي الصغيرة امرحي

سخرت كيم: «حظ؟ سأحتاج إليه!»

أنهت المخابرة ودخلت تستحم.

* * *

أخذت السيارة تقفز بسعادة على الطريق الزراعية من «أنجر» وكأنها عرفت أن «كاليه» «باريس» «اورلينز» و«تور» أصبحت وراءها وأن أمامها القليل من الوقت حتى تصل. كان الطقس مظلماً كما كان في المرة الأولى لكن في هذه المرة لا وجود لريح عاتية تقتلع الأشجار وترميها في طريقها على الطريق الداخلية المعبدة.

أنارت مصابيح السيارة الأمامية أبواب «الميني شاتو» الحديدية ومرت بلوحة مكتوب عليها بأحرف كبيرة (للبيع) وابتسمت كيم لنفسها.. سيأتي شخص ما ليشتريه.. مليونير أو رجل أعمال يريد التباهي والعيش برفاهيته..

عندما كانت السيارة تدخل إلى فناء المزرعة، بدأت ترتجف.. فلنفترض أن المنزل فارغ. ثم رأت النور في المطبخ فتنفست الصعداء.. في الداخل.. ڤيڤيان على الأرجح.. ربما خرج لوران مع فتاة.. إنه خال من الهموم ولا أخلاق له.. ابتسمت لنفسها.. ما أروع أن تدير أنفها إلى شيء من اللاأخلاق.. على أي حال حينما تنكشف كل الأوراق هذا هو الهدف من مجيئها إلى هنا.

كان هو من فتح الباب الخشبي ووقف ينظر إليها.. لم يبتسم أو يعبس:

ـ كيم؟

حيته بشجاعة:

ـ مرحباً.. أرجو ألا يكون منزلك مكتظاً بالضيوف؟ لأنني جئت أقضي الميلاد هنا.

ارتدّ إلى الوراء بوقار ودعاها لتدخل فتجاوزته إلى المطبخ وشهقت مسرورة عندما رأت الدفء الكامن فيه.

ـ ماذا تريدين كيم؟

ما زال عابساً.. وحول فمه خطوط قاسية مشدودة. راحت تتحدث بلا هدف:

ـ أود أن أتدفأ وأن أحتسي فنجان قهوة وآكل شيئاً ما إنما بهذا الترتيب الذي ذكرت.. تركت لندن في ساعة مبكرة هذا الصباح.. وأنا منذ ذلك الوقت أقود السيارة. حين غادرت «أورينز» أصيبت التدفئة بالسيارة بعطل وبدأت قدميَّ تشعران بالصقيع.. تلقيت ترحيباً رائعاً بعد سفري في قلب أوروبا.. وأنا لم أحضر لك هدية ميلاد لأنني كنت على عجلة من أمري ولكن لدي وقت للذهاب إلى «أنجير» غداً..

قاطعها: قيقيان غير موجودة.. ذهبت للإقامة مع أصدقاء في «ساومور».

أخيراً ارتسمت على فمه ابتسامة:

ـ لا يمكنك البقاء هنا كيم.. تعرفين السبب..

رفعت عينين صافيتين هادئتين إلى عينيه.

ـ ولِمَ لا؟

ارتدَّ ليملأ إبريق القهوة.

الواضح أنها قالت ما هو خاطىء، فقد تقارب حاجباه معاً وقسا صوته بطريقة وقحة:

ـ أتظنينني أبلهاً؟

وضع إبريق القهوة على النار وارتدَّ إليها.. دل تصرفه وتعابيره وطريقة وقوفه على عدم اللين فشعرت كيم للمرة الأولى بالبؤس. لن يكون هذا سهلاً كما ظنت عندما انطلقت إلى هنا والحماسة تتآكلها..

رفعت عينيها إلى عينيه بانتظار دليل على اللين.. لكن لا شيء.

ـ منذ أربعة أشهر هرعت من ذلك المنزل.. بعد ما ذكرت رأيك بي. دعيني أرى إذا كنت أذكر كافة التفاصيل.. فإن نسيت شيئاً فرجاء ذكريني.. أغويت فتاة بريئة ثم هجرتها.. وبعد أربع سنوات عدت إلى هنا فوجدتها متزوجة بأبي ومع ذلك تابعت فسقي حتى اكتشف أبي

الأمر وطردني تاركاً ورائي الفتاة حاملاً.. ثم بقيت بعيداً حتى أصبح العجوز مقعداً في الفراش.. فعدت مرة أخرى..

تمتمت معترضة وقد تبخر كل حماسها وثقتها بنفسها:

ـ أنا لا أصدق أن جان كلود ابنك.

بدت القصة أكثر فسقاً وبعيدة كل البعد عن المنطق فكيف صدقتها؟ برقت عيناها، وقسا ثغرها:

ـ إذا كنت ستتصرف على هذا النحو فلا تزعج نفسك بالقهوة، لأنني مغادرة حالاً!

هوت يده بقسوة على كتفها يدفعها إلى كرسي المطبخ البسيط، ويثبتها هناك.

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة.. اجلسي وأصغي!.. إذن أنت لا تصدقين هذا الجزء من القصة.. ولكنه جزء غير مهم أبداً.. إنه حادثة واحدة في عشرين سنة من الأحداث. أتحاولين القول إنك ستسامحينني على الأحداث الأخرى؟ وإنك قررت أن تكوني أكثر انفتاحاً، لأن هذا ما أنت بحاجة إليه؟ أية امرأة أنت لتتغاضي عن مثل هذا التصرف؟

حركت كيم كتفها لأن قبضته بدأت تؤلمها.

ـ دعني!

ـ كي تهربي مجدداً؟ آه! لا.. لن يكون الأمر هكذا هذه المرة.. لن تذهبي إلى أي مكان.. أنت أكثر إرهاقاً من أن تقودي بسيارتك الليلة، لذا سأحتجزك هنا حتى أستخرج الحقيقة منك.. ولو بقيت حتى الميلاد القادم.

وجدت الشجاعة لتقول بسخرية:

ـ لا أستطيع البقاء حتى ذاك الوقت، فشقيقتي تتوقع مني زيارة في الأسبوع الثاني من السنة الجديدة.

ـ لكنك ستجدين الوقت اللازم.

فجأة شعرت بالخوف من هذا الغريب الذي أردف بشراسة:

ـ هيا . . أخبريني . . هل لديك دليل ثابت يدحض قصة زوجة أبي الرومانسية؟

ـ أبداً! فلنقل إنني سأمنحك فرصة البراءة لمجرد الشك.

ابتسم بقسوة: وتسامحينني على خطاياي المشينة؟ لا . . هذا غير كافٍ.

ـ حسناً . . لا أستطيع غير هذا . . هل أستطيع؟ أنت لم تنكر شيئاً! آه . . يا إلهي! لماذا جئت إلى هنا؟

ـ وهذا سؤال آخر أود طرحه عليك . . لماذا جئت إلى هنا مع أنك صدقت كل الأكاذيب عني؟ أنت دعامة الطهارة المرأة الوفية لذكرى زوجها الميت . . تأتين إلى هنا؟ أنت تتصرفين حقاً كامرأة لعوب، وهذا ليس الانطباع الذي أعطيتنيه في الصيف . . فعندما عانقتك للمرة الأولى خفت وهربت، ثم لمّا عانقتك ثانية تجاوبت ولكنك قلت إنك تخجلين من نفسك بسبب هذا التجاوب. ما الذي تغيَّر الآن؟ هل دخل في حياتك رجل كيم؟

ـ كيف تجرؤ؟ دعني!

قاومت بشراسة، وكادت تتمكن من التحرر منه ولكنه حرك يده ودفعها بلا رحمة إلى كرسيها . . آلم الظهر الخشبي القاسي ظهرها وجعلها تشهق ألماً، وبدأت الدموع تترقرق في عينيها . .

اجتاحها الإحباط فخبت نيران غضبها ولم يبق غير الرماد، وطعم كريه حاد في فمها . .

تمتمت بحزن:

ـ لماذا لم تنكر تلك الادّعاءات التي قالتها صونيا لي؟ ما كان عليك سوى أن تقول إنها غير صادقة لأصدقك . .

ـ ولماذا تصدقينني أنا ولا تصدقين زوجة أبي؟ ليس هناك دليل يمكنك التمسك به . . المسألة كانت كلمة شخص ضد كلمة شخص آخر، فلماذا تصدقينني أنا؟

هذا كثير عليها . . أحداث اليوم، ورحيلها المفاجىء وقطع القناة الباردة الكئيبة والقيادة الطويلة بلا طعام أو شراب إلا الحليب . . ولكن عبر غيمة بؤسها ومضت شرارة غضب أخيرة . . وصاحت في وجهه:

ـ لأنني أحبك!

وهطلت دموعها ثم أحنت رأسها لتخفي ذلها الأخير. أحست ولم ترَ الذراعين تبتعدان . . ثم سمعته يتحرك مبتعداً وبعد ذلك سمعت طقطقة الخزف الصيني والملاعق فيها . . مع ذلك لم ترفع رأسها . . إنه شيطان ماكر! لقد وبخها وعذبها حتى فضحت نفسها . . وها هو الآن ينعم بانتصاره . . إما هذا وإما يقودها إلى الباب ليطلب منها أن تخرج.

ـ القهوة كيم.

رفعت رأسها مذهولة من نبرة صوته التي تغيرت إذ لم يعد قاسياً بارداً، وأحست بيده تلمس شعرها بلطف . . فقالت ساخرة:

ـ لا تربت عليّ وكأنني كلب شارد . . ولا تكن شهماً. ماذا ستفعل الآن؟ لا أريد الشفقة ولن أقبلها . . لقد وقفت هنا وكأنك الجلاد تحفر في عقلي. ما شأنك بدوافعي؟ لماذا كان يجب أن تعرف كل شيء؟ لماذا لم تترك لي ما أحتفظ به؟

ـ اشربي قهوتك صغيرتي . .

ووضع الفنجان على شفتيها كطفلة صغيرة . . فتحرك أنفها ما إن تنشقت الرائحة ودفعتها عنها.

ـ لم تضع السكر فيها . . لا أستطيع شربها بدون سكر . . وهناك شيء آخر كنت أنوي قوله لك، لا تناديني بذلك الاسم السخيف «صغيرتي» فهو يعني كذلك أنني حلوة وطيبة المذاق وهذا ما لست عليه.

ـ اشربي!

وضع الفنجان مرة أخرى على شفتيها قائلاً:

ـ أنت بأمس الحاجة إليها . . عليك منذ الآن تعلم شيء عن

www.mlazna.com

العلاقات الزوجية الفرنسية. للمرأة مطبخها، أما راحتها وكيانها فيعتمدان على زوجها.

ارتشفت كيم قليلاً من القهوة وشهقت لجريان السائل الساخن في حلقها:

ـ علاقات زوجية! من قال شيئاً عن زوجي؟ أنا لم أقل شيئاً بالتأكيد بل لم أذكره حتى.. ولا أظنني أريد الزواج بك على أي حال.. لأنك بعيد كل البعد عن الزوج المثالي الذي أريده شريكاً لحياتي.

ارتشفت ما تبقى من القهوة فشعرت بالدفء يسري في جسدها.

قال لوران بلهجة مرحة وهو يخرجها من الكرسي:

ـ سنناقش هذا في وقت لاحق.. تعالى وتناولي العشاء معي. قبل أن تغادر ڤيڤيان ملأت البراد بأطعمة يمكن تسخينها.. الليلة أعمل على تسخين فطيرة بيض ولحم وحليب.

شدها بين ذراعيه ليخلع عنها السترة ثم احتضنها بشغف.

وجدت كيم وهي تستند بارتخاء إليه أن هذا العناق يستحق كل ذاك الانتظار.. لو ضمها ما إن وصلت لوفّر عليها ذاك الشعور بالذل! وعندما رفع رأسه أخيراً كان وجهه أرق، وعيناه شبه رماديتين لأن البؤبؤ الأسود تمدد، واشتعلت نار صفراء في أعماقهما القاتمة.

تمتم: «فيما بعد صغيرتي.. أعدي المائدة ريثما أخرج الأطباق من الفرن».

اكتشفت كيم أن الجوع أكثر أهمية، وفتشت في الخزانة عن الأطباق..

سألها: هل ارتفاع الخزائن مناسب لطولك؟

ـ وكأنها مفصلة على قياسي.

ـ إنها كذلك.

ادعت أنها لم تسمعه وراحت تسكب فنجان قهوة آخر. مع أن

الجوع بدأ يتلاشى من معدتها إلا أنها أخذت تشعر بتوتر بشأن ما ستفعل.. الأمر رائع وذراعاه حولها فعندئذ لا تأبه لشيء البتة.. أما بعيداً عنه فتحس بالقلق يتزايد فيبرد دمها ويبدأ قلبها يتسارع.

وضع لوران الطعام على المائدة ثم قطع لها قطعة كبيرة، فجلست تنظر إلى القطعة ورائحتها الشهية اللذيذة تهاجم أنفها. احتجت معدتها مرة أخرى وأحست بلعابها يسيل فتناولت شوكتها ولعقت شفتيها فضحك لوران عليها.

ـ لا تزعجي نفسك بالكلام كيم.. تبدين متضورة جوعاً!

ولم تطلب دعوة أخرى إذ أسرعت تدس ملء شوكة في فمها ومضغت، ثم تكلمت:

ـ جائعة فعلاً! الحليب مغذ ومفيد لكنه لا يشعر المرء بالامتلاء!

ـ تناولت الحليب فقط؟

ـ همم.. أردت توفير الوقت.

ولم ترفع بصرها عن طبقها حتى فرغ ثم راحت تنظر إلى ما تبقى في الطبق الكبير.

ـ هل لي بالمزيد أرجوك.. هل هو عشاء للغد أو ما شابه؟

ـ لا.. غداً لدينا «باتيه» للغداء، ودجاج مسلوق للعشاء وبما أنك هنا لتطبخي فسأجلب لك قبعة طباخين ليوم الميلاد.

ـ لست طباخة ماهرة.. إذ لم تتح لي فرصة التدريب.

ـ ستتعلمين.. سأشتري لك كتاب طبخ.

أطاح بشكوكها وراقب الطبق الثاني يختفي، ثم ابتسمت له راضية:

ـ كان ممتازاً آه. أشعر أنني أفضل حالاً. هل لنا أن نتحدث الآن؟

ـ أجل.. إنما ليس هنا بل في الصالون إذ سنجد فيه الراحة ففيه مدفأة كهربائية إضافة إلى التدفئة المركزية.

همست وهي تجلس على الأريكة:

- ألا يمكنك.. ألن تشرح لي؟ أتعرف ما أخبرتني به زوجة أبيك؟

جلس إلى جانبها ولف ذراعه حولها:

- أعرف جزءاً منه.. فقد روت القصة عدة مرات مع اختلافات بسيطة. أما من كانت تقص عليهم القصة ففتيات أو نساء تظن أنني أبدي تجاههن اهتمامها.. لديها شخص في «فيلبير» يخبرها بما أفعل.

فكرت كيم بالعينين الخضراوين المليئتين شراً وارتجفت:

- إذن كان يجب أن تخبرني الحقيقة منذ أشهر طويلة.

- أية حقيقة عزيزتي؟ الحقيقة هي ما يؤمن به المرء.. وصونيا روت القصة مراراً ومراراً حتى صدقتها بنفسها لهذا تبدو متماسكة بل هي تعطيها رنة ثقة حقيقية في عدة تفاصيل تكون صادقة.. قبل أن أذهب إلى الجيش كنا حبيبين ولكنني لم أغو فتاة بريئة كما أوهمتك.

- قالت إنك رحلت ولم تراسلها..

- وهذا نقطة التقاء في قصتينا أيضاً.. هذا صحيح ولكنها لم تذكر لك سبباً وهنا يكمن الاختلاف.. أتريدين سماع القصة من جانبي؟

- إن صمتك وإصرارك على الصمت هما ما يجعلان الناس يسيئون الظن بك.

رأى البريق في عينيها وضحك:

- يا لك من سيدة محاربة أتزوجها.. ولكن القصة بسيطة.. عزيزتي كنت شاباً صغير السن.. وأحببت وطلبت من الفتاة أن تتزوجني.. ولكنها رفضت! أما أنا فقد تحطم قلبي وخاب أملي عندما قالت لي إنني لا أستطيع الإنفاق على زوجة، وإنها تستحق من هو أفضل من عامل مزرعة، وهذا ما كنت عليه ولكن ليس باليسر الذي يتمتع فيه المزارعون الآخرون.. كان أبي بخيلاً يأويني ويطعمني ويعطيني مصروفاً كنت مضطراً إلى شراء ثيابي منه.. في ذاك الوقت رفعت صونيا أنفها بكبرياء في وجه فقير قذر مثلي حتى وهي تعلم أنني سأرث المزرعة.. فهي مضطرة للانتظار طويلاً وليست مولعة بالعمل

الشاق، فكيف تخدم رجلين في منزل ليس فيه الوسائل الحديثة؟

ابتسم بلطف ثم أضاف:

- أتلومينها؟ يومذاك شعرت بالحسرة والمرارة وبالإحباط فانخرطت بالجيش.. كنت شاباً رومانسياً وأردت حرباً في مكان ما لأقتل فيها فتبكي عليّ. لكن لم يكن هناك حروب، وبعد التدريب تطوعت في الفرقة الأجنبية، حيث جردني عدة رقباء أو ضباط من أي هراء يسيطر على عقلي..

- وحين عدت أخيراً وجدتها قد تزوجت والدك.

- وهذه نقطة أخرى نلتقي بها أيضاً.. لكن والدي لم يكتشف أية علاقة آثمة بيننا لأنها لم تكن موجودة أصلاً، فزوجته الجديدة أصبحت زوجة أبي وفي مقام أمي.. على أي حال كنت قد انتهيت من تعلقي بها.. لكن صونيا لم يكن يعجبها أن ينجو ضحاياها بجلدهم، وتضاعف جهودها مرات عديدة لإعادة اصطيادهم.. تحملت هذا الواقع قدر استطاعتي ثم فررت كالجبان، هربت فلست قديساً أو ناسكاً.. واعتقدت أن من الأسلم أن يكون بيننا أميال وأميال.. كان أبي يكبر كثيراً ويعتمد عليّ.. والأنكى أنه اضطر لاستخدام شخص في غيابي ليقوم بالأعمال المكتبية..

وصمت.. فكان على كيم أن تحثه:

- تابع.

هز كتفيه مجدداً.

- تعرض أبي لنوبة قلبية أنهته كرجل فأرسل يطلبني.. في تلك الأثناء اعتقدت أنني قادر على التعامل معها فقد مضت عشر سنوات ازددت فيها ثقافة وعلماً.. عندما عدت كان جان كلود في السابعة من عمره وكانت المزرعة مفلسة بسبب المال الذي يُنفق على زوجة أبي الشابة وأبي مريض وعجوز، ومع أنه كان يحبها كثيراً إلا أنه لم يكن غبياً.. كان يعرف أن الأمور لم تكن كما يجب أن تكون وأراد أن يجعل

www.inaza.com

ديودونيه آمنة في المستقبل فعهد مسؤوليتها إليّ. . ولأن صونيا غبية أخبرته بعلاقتنا القديمة في أحد شجاراتهما ولأنه خشي أن أكون سخياً معها كما كان هو جعل الأمر مستحيلاً قبل أن يموت.

ـ أخبرتني شيئاً عن نفقة مخصصة لها. . ولم أكن في حالة ذهنية جيدة فلم أفهم ما تعني. .

شدها إليه:

ـ لا. . أتفهم وضعك ولكن صدقيني منذ أن أصبحت زوجة أبي امتنعت عن إقامة علاقة معها من أي نوع. . وهذه هي الحقيقة! حين عدت في المرة الثانية احتقرتها وكرهتها إذ كادت تخرّب مزرعة مزدهرة بالمبالغ التي تنفقها فيه، وكانت تدفع أبي إلى حتفه بمطالبها التي لا تنتهي. . بعد موته اكتشفت أن المزرعة مفلسة وليس عندها غير أرباحها وهذه الأرباح تكاد لا تفي الأجور والنفقات الأخرى لذا كان علينا أن نتخلى عن صناعة الألبان والأجبان ورحنا نبيع الحليب والعنب إلى التعاونيات كما استخدمت مالي الذي ورثته عن أمي في النورماندي لأشتري مواشي جديدة. . وبهذا نجت مزرعة ديودونيه. . ولكن المأزق كان وما يزال قريباً.

أمسكت يده والدموع في عينيها:

ـ لوران. . أنا آسفة. . هل ستسامحني يوماً؟

شدها إليه يمسح دموعها بإصبعه:

ـ لا شأن للسماح بهذا، فأنا أحبك كيم. . أحببتك منذ حملتك إلى المنزل في الليلة التي وصلت فيها إلى هنا.

ضحكت:

ـ لكنك لم تترك بي انطباعاً حسناً. . تترك الأشجار في طريقي لأصطدم بها!

تمتم في أذنها: «لكنني أزلتها ثم اعتذرت أنت لأنك أسأت الظن بي. . لكن ماذا عن ماضيك؟ أما زلت متعلقة به؟»

هزت رأسها بحزم:

ـ لا. . لقد أبعدته عني. . وهذا ما كان يجب أن أفعله منذ سنوات.

ـ وستتزوجينني. . ولكنك ستبدئين مع عائلة جاهزة، ولن يكون لدينا مال وفير. سيكون هناك ما يكفي حاجياتنا بالتأكيد وسنكون مستريحين مادياً أما جان كلود فلن أسمح له بالعيش مع أمه لأن أسلوب حياتها يربك الولد.

فهمت كيم ما يعنيه وصرفت النظر عنه، فأسلوب حياة صونيا غير ذي أهمية بالنسبة لها. . بل صونيا نفسها غير مهمة.

قالت حالمة:

ـ لم يكن لدي يوماً مال وفير لذا لن أفتقده. . أما أنا وجان كلود فمتفقان والرد نعم. . متى شئت وأردت.

ضمها لوران بشغف الدنيا كلها فشعرت بتيار أسود يجرفها ولكنها في هذه المرة لم تقاوم بل ضمته هي أيضاً بشغف وحب.

رفعت رأسها والحب يترقرق في عينيها:

ـ أحبك لوران وقد جئت لأنني أحبك. . أوافق على الزواج بشروطك لأنني لا أريد إلا أن أكون معك.

احتواها مرة أخرى:

ـ واثقة؟ لأنني متى امتلكتك لن أدعك تذهبين. . ستعيشين ما تبقى من عمرك معي. . ولا مجال للخلاص. .

ـ أعرف. . إنه قدر أسوأ من الموت. .

وضحكت ضحكة ملؤها الإغراء وكانت تدرك أنه لن يفهم الفكاهة.

ـ أوه حبيبي. . ولن أندم أبداً، فليس هناك ما قد يفسد ما أنا فيه.

راقبت النظرة السوداء المغلفة تغادر وجهه، وحل محلها ابتسامة شابة شريرة، كابتسامة جان كلود. . التوى فمه. . عفريتها العزيز قد

تخلص أخيراً من جحيمه . . ومعاً سيجدان الجنة .

ـ في هذه الحالة مدام . . لا أحتاج إلى دعوة أخرى . . سنتزوج في انكلترا لأن الزواج هناك يتم بشكل أسرع .

* * *

طوق الياسمين
www.mlazna.com

منتديات ملاذنا www.mlazna.com